



حياتي وتحصيلي العلمي في سطور

محنتي أو ضريبة الإيمان في سطور

بقلم:

الشيخ أبي عز الدين النعيمي



حياتي وتحصيلي العلمي في سطور محنتي أو ضريبة الإيمان في سطور

بقلم:

الشيخ أبي عز الدين النعيمي

١٠ رمضان ١٤٣٧هـ

١٦ حزيران ٢٠١٦م

عنوان الكتاب: حياتي وتحصيلي العلمي في سطور محنتي أو ضريبة الإيمان في سطور
الكاتب: الشيخ أبو عز الدين النعيمي
النشر: الأول (الإلكتروني)
تاريخ النشر: رمضان ١٤٣٧ الهجري
المصدر: موقع العقيدة



تم تنزيل هذا الكتاب من موقع العقيدة
www.aqeedeh.com

book@aqeedeh.com

البريد الإلكتروني:

مواقع مجموعة الموحدين

www.aqeedeh.com

www.mowahedin.com

www.islamtxt.com

www.videofarsi.com

www.shabnam.cc

www.zekr.tv

www.sadaiislam.com

www.mowahed.com



contact@mowahedin.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

- ١..... حياتي وتحصيلي العلمي في سطور
- ١..... اسمي ولقبني ونسبي
- ١..... مولدي
- ٢..... يُتَمي
- ٢..... طفولتي
- ٢..... دراستي
- ٣..... استماعي للدروس
- ٤..... حفظي للقرآن غيباً
- ٤..... طلبي للعلم
- ٥..... ملحوظة حول زواجي
- ٦..... ملحوظة حول دراستي في جامعة الأزهر
- ٧..... ملحوظة حول علمي وتعليمي
- ٨..... محني الدراسية
- ٨..... محنة الجوع
- ٩..... محنة النساء

- ٩ محنة الباعة
- ١٠ محنة البدع والشيوخ المبتدعين
- ١٢ عقيدتي
- ١٤ عملي
- ١٥ أخيراً في مكتب الفتوى للهيئة الشرعية الرباعية وغيرها
- ١٨ **محنتي أو ضريبة الإيمان في سطور**
- ١٨ محنة المسلم الواعي
- ١٩ في خطبة الجمعة
- ٢١ في فرع مخبرات أمن الدولة
- ٢٣ في التحقيق
- ٢٣ ملحوظة حول اعتقال إبراهيم ناصيف
- ٢٤ في السهرة
- ٢٤ في فرع المخبرات
- ٢٥ رئيس الفرع يُدافع عن كرامات الشيخ البدوي
- ٢٦ في المكتبة الإسلامية
- ٢٧ في زنزانة التحقيق
- ٢٨ في سجن تدمر
- ٣٢ ملحوظة حول اختلاف معاملة السجنائين
- ٣٢ المحاكم الصورية في سجن تدمر
- ٣٥ خروجي من سجن تدمر

٣٥	عرض الدنيا مقابل الدين
٣٧	محتي بمحنة ولدي أسعد
٣٧	محتي مع التكفيرين
٤٧	تحقيق جرمي وتهمتي وخروجي من سجن صيدنايا
٤٧	إخراج ولدنا أسعد من السجن واستشهاده في العراق
٤٨	هجرتنا أو نزوحنا واستشهاد اثنين من أبنائنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حياتي وتحصيلي العلمي في سطور

الحمدُ لله بجميع محامده ما علمتُ منها وما لم أعلم، على نعمه كلها ما علمتُ منها وما لم أعلم، عدد خلقه كلهم ما علمتُ منهم وما لم أعلم، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين.
أما بعد:

فإليكم جوابي يا من تسألون عن دراستي ومحصلتي العلمية ومن هم الشيوخ الذين أخذت العلم عنهم وهذه ترجمة حياتي الدراسية في سطور قليلة:

اسمي ولقبى ونسبى

أبو عز الدين النعيمي ابن عبد الرحمن بن بكري بن حميدو بن أحمد حتى ينتهي نسبي بجذ عشيرة النعيم الشيخ عز الدين (أبو حمرة) المدفون شرقي حماة المعروف لينتهي نسبنا أخيراً بجذنا الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ هذا ما أفادنيه والذي رحمه الله مؤكداً إثبات ذلك في شجرة النسب التي كانت بحوزته وفُقدت مع غيرها مع الأوراق الثبوتية الضرورية بعد إخراج جنازة جدي بكري المذكور كما أن سجلات شجرة النسب لعشيرة النعيم موجودة عند بيت الأسد (عائلة معروفة - بحماة - بمعرفة الأنساب والعشائر العريقة) ومما هو ثابت فيها نسبنا إلى آل البيت نسأل الله تحقيق النسب بالإخلاص في القول والعمل.

مولدي

وقد ولدت في فصل الربيع من ١٩٤٣ وكانت ولادتي من أبوين كريمين ملتزمين بالإسلام حيث كان والدي إمام وخطيب الجامع في القرية ومشهوداً له بالورع والتقوى وكثرة ذكر الله والشدة في أمر

الله وعدم التهاون في كل ما يتعلق بأمر الدين وكان داعية التصوف على الطريقة النقشبندية خليفة الشيخ أبي النصر الحمصي في منطقة أعزاز في الريف الشمالي لحلب.

يُتمى

حيث توفيت والدتي وأنا في الرابعة من عمري ومضت فترة طفولتي يتيمًا أكثرها أمراض لقلّة الاعتناء لعدم وجود الأم ولضعف الأحوال المادية فعشت يتيمًا لا أعرف والدتي إلا كإخيل أو رؤيا المنام.

طفولتي

وقد عشت تلك الطفولة في كنف والدي رحمه الله فكان من أوائل ما بدأت أدرك من الدنيا (على حداثة سني) ما كان عليه والدي من ملازمة القراءة والدراسة ومطالعة الكتب التي تحويها مكتبته الخاصة بالكتب الدينية وكان من أشد ما أثر في نفسي ما أراه من شدة تعلق والدي بتلك الكتب والحرص عليها والحالة التي يتأثر بها ويؤثر بكل من يراه من كثرة بكائه عند مطالعته في تلك الكتب فلا أنسى تلك الدموع المنهمرة على وجنتيه رحمه الله مما ترك في نفسي أثرا كبيرا وحرك عندي دافع الرغبة الملحة للمسح بتلك الكتب تبركا وتقليب صفحاتها مما كان يخشاه على تلك الكتب من عبث طفل لا يعي قيمتها وربما زجرني بالضرب أحيانا لكن ذلك الضرب كان بمثابة الإغراء فيها لأن كل ممنوع مرغوب ومحبوب ولم أكن لأعلم أن هذه المشاهد وتلك الصورة التي لا تكاد تفارق ذاكرتي سيكون لها أكبر الأثر بعد توفيق الله إياي في تنامي رغبتني العلمية المبكرة وحرصني الشديد على تعلم العلم النافع والبحث عن العلماء الصالحين والاستفادة منهم مهما كان في ذلك من التعب والنصب وبعدها قد أخذني والدي رحمه الله إلى حلب للدراسة في مدرسة الفتح جانب العثمانية في باب النصر فكنت أحد طلاب صف الشعبة (الروضة حاليًا) وكان عمري ناهز الست سنين ثم توالى الأمراض عليّ حتى تركت المدرسة عائداً إلى القرية.

دراستي

ثم انتسبت إلى المدرسة الابتدائية لأعيش في كنف والدي مستفيداً منه ما بدأه بي من حفظ صغار المتون فبقيت بضع عشرة سنةً أتردد بين والدي في القرية وإخوتي في حلب حتى ما بعد البلوغ لشدة

تعلقي بوالدي رحمه الله، وحنوه علي، ورحمته بي، كوني لا أعرف والدي. فنشأت على حبّ الدراسة وقراءة الكتب منذ نعومة أظفاري خاصة بعد أن انتهيت من الدراسة الابتدائية وبدأت أستوعب بعض الشيء في علم النحو بعد أن قرأت على والدي بعض شرح الأجرومية وكما أمرني بحفظ جوهر التوحيد في العقيدة الإسلامية و متن أبي شجاع في الفقه الشافعي وغيرها من المتون فحفظت منها ما تيسر إلا أنني أتقنت القرآن الكريم مع التجويد فكنت بعدها ملازماً للشيخ أحفظ دروسهم وأبحث عن المزيد في كل شيء خاصة لما كنت أرى الطلاب صغاراً وكباراً متعلقين بالشيخ المدرس لأخذ العلم عنه والحرص الشديد على المزيد من الفائدة فكنت لا أشبع منها مهما سمعت وتعلمت.

استماعي للدروس

وقد كنت في كل هذه الفترة وما قبلها يعني منذ ما قبل الاحتلام وأنا لا أبرح دروس شيخو التصوف التي لا يوجد غيرها في حلب بدءاً من:

١. دروس الوالد رحمه الله عندما كنت في القرية.
٢. ثم إلى دروس الشيخ أحمد عز الدين البيانوني في جامع أبي ذر بحلب.
٣. إلى دروس الشيخ عبد الباسط أبي النصر الحمصي.
٤. إلى دروس الشيخ أحمد المصري في جامع ساحة الملح.
٥. والشيخ محمد نجيب خياطة.
٦. وأخيه الدكتور عبد الرحمن خياطة.
٧. ودروس شيخو الجامع الأموي.
٨. وأخيراً دروس الشيخ عبد القادر عيسى.
٩. ودروس مفتي حلب الشيخ أسعد العبيدي.
١٠. ودروس الشيخ محمد النبهان.
١١. والشيخ جميل عقاد.
١٢. والشيخ أحمد الإدليبي.
١٣. ولا أنسى فضائل دروس الشيخ عبد الله سراج الدين.

وعددًا كبيرًا من شيوخ حلب مما يطول ذكرهم وكان هؤلاء الشيوخ ولى سمعي وقلبي وبصري.

حفظي للقرآن غيبًا

ثم انتسبت إلى مدرسة الحُفَاط الإسلامية بحلب سنة ١٩٥٩م التي كان يديرها شيخ القراء: الشيخ محمد نجيب خياطة رحمه الله ويُدرّس فيها كُلُّ من الشيخ أحمد المصري والشيخ محمد ويس جبارة والشيخ محمد أمين سعيد رحم الله الجميع فحفظت القرآن الكريم غيبًا برواية حفص عن عاصم مع التجويد ثم قرأت القرآن كلّه على الشيخ محمد نجيب خياطة في الثانوية الشرعية بعد صلاة الفجر على فترة من الزمن كذلك قرأت على الشيخ أحمد المصري القرآن كلّه في جامع ساحة الملح على فترة وقد تخرجت من مدرسة الحُفَاط هذه سنة ١٩٦١ نهاية العام الدراسي وما كنت أسمع بصاحب علمٍ إلا ذهبت إليه وتعلمت على يديه حتى وإن كان أصغر مني حتى اليوم إن يسر الله ذلك.

طلبي للعلم

ثم انتقلت إلى الدراسة العلمية الخاصة فانسبت إلى المدرسة الشعبانية أول افتتاحها في الجامع الحموي ١٩٦٢م وقبل مُضَيِّ السنة فيها سحبنى الجيش للخدمة العسكرية فبقيت سنتين ثم بعد خلاصي من العسكرية عدتُ إلى المدرسة فدرست فيها في الصف الثاني وقبل نهاية السنة الدراسية حصل ما حصل معي من اختلافٍ مع المتنفذ في المدرسة الشعبانية وكانت الصوفية وبدعها هي السبب لإعراضي وتركبي لهذه المدرسة وقد تعرضت لإيذائه كثيرا "محتسبا" أجري عند الله ثم تابعت دراستي عند بعض شيوخ الشعبانية في جوامعهم فدرست على العلماء والشيوخ التالية أسماؤهم:

١. فمنهم الشيخ محمد الغشيم في جامعه مقر الأنبياء بعض الفقه الشافعي وغيره.
٢. ومنهم الشيخ سامي البصمه جي في النحو.
٣. والشيخ محمد الحَمَاد في الفقه الشافعي.
٤. والشيخ أحمد القلاش لزمته دهرًا طويلًا فدرست عليه الفقه الشافعي شرح ابن قاسم والنحو بعض شروح الآجرومية وقطر الندى وشرح ابن عقيل وكتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك وكتاب البناء والعزّي في التصريف وكذلك شذى العرف في فن الصرف وكتابُ البلاغة تأليفُ الشيخ نفسه حتى أنني قرأت على الشيخ أخيرًا مغني اللبيب لابن

- هشام إلى نصف الكتاب وهو أعظم شيوخه عليّ فضلاً كما قرأت شذى العرف في فن الصرف على ابن الشيخ محمد القلاش ولم نكمله وعلى غيره من الأساتذة.
٥. ومنهم الشيخ عادل حمصي.
٦. والشيخ محمود نصرت حيث انتسبت إلى مدرسة الحفظ التابعة للشعبانية وقد حفظت فيها طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري وتابعت الدراسة فيها لمدة ثلاث سنوات تقريباً وقد قرأت بالقراءات العشر إلى الجزء الخامس والعشرين.
٧. كما قرأت بالقراءات العشر على الشيخ كامل عاصي في منزله.
٨. كما قرأت القرآن بالقراءات العشر على الشيخ عبد الغني قنبري في العثمانية.

ملحوظة حول زواجي

- وفي الفترة الماضية كنت قد تزوجت الزوجة الأولى سنة ١٩٦٦ وما أفلحت في هذا الزواج فطلقتها وقد كنت إماماً في قرية بلليمون وبعدها في قرية كفر حمرة ثم تزوجت الثانية وكنت إماماً في قرية تفتناز وقد كان زواجاً ميموناً وتم ذلك في سنة ١٩٦٩ ورزقت منها اثني عشر ولداً أرجو الله برهم وشهادتهم وشفاعتهم عند الله وأرجو الله أن يجمعنا وأحبابنا في مستقر رحمته في الجنة آمين.
٩. ومنهم الأستاذ الخطاط محمد أمين خياطة فدرست عليه علم (الفرائض) المواريث شرح الرحبية وشرح السراجية لفرضي حلب الشيخ محمد نجيب خياطة رحمه الله.
١٠. والأستاذ يحيى فتلون حيث تابعت دراستي عليه بعد تخرجي من الأزهر فقرأنا شرح ابن عقيل وكتاب البلاغة وغيرهما مما لم أعد أذكره.
- ومن غير شيوخ الشعبانية الذين لهم سابق فضل في تعليمي:
١١. منهم الشيخ أحمد شهيد قرأت عليه في الفقه الشافعي بعض شرح ابن قاسم والنحو في شرح الأجرومية.
١٢. والشيخ محمد الحجار درست عليه كتاب تنوير القلوب في جامع الزكي بباب النصر ولم نكمله.

١٣. وكان من شيوخه الشيخ محمد خير زيتوني وقد قرأت عليه عددًا من شروح الآجرومية وكتاب شذور الذهب وقطر الندى لابن هشام وغيرها من كتب الدراسة المقررة في الشعبانية وهو من أعظم شيوخه عليّ فضلًا بعد الشيخ القلاش رحمهم الله.

ملحوظة حول دراستي في جامعة الأزهر

١٤. والشيخ أحمد جعفر من قرية تفتناز وقد درست عليه في اللغة العربية وكان له الفضل عليّ حيث قام بتسجيلي في جامعة الأزهر سنة ١٩٧٢ في كلية أصول الدين قسم التفسير والحديث وتخرجت ١٩٧٦ وقد حصلت على (شهادة اللسانس بدرجة جيد جدًا) والحمد لله ربّ العالمين.

١٥. والشيخ الشهيد حسن حج إبراهيم رحمه الله الذي كان قد تعبّ عليّ كثيرًا في تعليمي علم المنطق والفلسفة وشرح المنهاج الدراسي لكتب جامعة الأزهر وقد كنت إمامًا في محافظة إدلب فكنت أسافرُ إليه إلى حلب كُلَّ أسبوع لنبقى طيلة الليل في تلك المدارس على مدار السنة الدراسية تقريبًا.

١٦. والأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة درست عليه بمعيتي الأستاذ يحيى فتلون فقرأنا كتاب مغني اللبيب لابن هشام ولم نكمله كما قرأنا شرح الدكتور لكتاب التصريف الكبير لابن عصفور ولم نكمله وتابعنا عليه دراسة إعراب القرآن وقد صححتُ له كتاب المفصل في إعراب القرآن بكامله وهو المطبوع.

١٧. والشيخ الشهيد يوسف هنداوي درست عليه نحوًا وبلاغةً وصرّفًا وفلسفةً وكتاب علم المنطق للحبنة ودرستُ عليه البيقونية وكتاب التقريب للنووي في مصطلح الحديث وشرح كتاب نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للإمام ابن حجر العسقلاني وكتاب علم أصول الفقه لمفتي حلب الشيخ أسعد العبيدي وغيره.

١٨. والشيخ محمد علي أبو عبد المصوّر فقرأت عليه في مصطلح الحديث وفي شرح مسلم ولم نكمله.

١٩. ومنهم الشيخ أسامة كاش فدرسنا كتاب الباعث الحثيث في مصطلح الحديث بشرح الشيخ الألباني.

٢٠. والشيخ عطا الله من دار الفتوى بحلب درسنا في كتاب الإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه.

٢١. والشيخ سعيد بادنجكي فدرسنا كتاب الرسالة للإمام الشافعي وكتاب فتح الباري ولم نكمله.

٢٢. والأستاذ صلاح خياطة درستُ عليه شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وحاشية الصبّان على الأشموني أربع مجلدات و كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام بكامله وقرأنا إرشاد الفحول إلى علم الأصول.

٢٣. والشيخ حسين الأحمد فدرست عليه بعض البحوث الهامة في كتاب مغني المحتاج في الفقه الشافعي.

٢٤. والأستاذ أبي الهيثم محمد عارف العمر من جبرين عزاز قرأت عليه شرح ابن عقيل ثلاث مرات تقريبا وقرأت عليه أوضح المسالك ولم نكمله وكان كثيرا ما يتعرض لإعراب القرآن جزاه الله كل خير.

٢٥. ومنهم الشيخ عباس علي حيث درسنا معاً كتاب الاعتصام للشاطبي بكامله وبعض كتاب الموافقات ولم نكمله كما قرأنا في الأصول والقواعد الشرعية.

٢٦. وكذلك على الدكتور عبد المجيد معاذ في الأصول.

وغير هؤلاء العلماء والشيوخ الكثير ممن يطول ذكرهم جزى الله الجميع عني كل خير وبرٍ وإحسانٍ.

ملحوظة حول تعليمي وتعليمي

وفي كل تلك السنوات الدراسية أي منذ سنة ١٩٦٥ كنت ولا زلت طالباً ومعلماً لمن هم أدنى مني علماً أمارس تدريس وتعليم ما تعلمته حتى يومي هذا والحمد لله فكنت بذلك أحافظ على ما تعلمته بل أزداد علماً وتثبيتاً لمعلوماتي لما سمعتُ من شيوخي أن كل شيء ينقص بالإنفاق منه إلا العلم فإنه يزداد صاحبه علماً وفهماً.

محنى الدراسة

ومنها أنني تعرضت لمواقف صعبة وصعبة للغاية ولكن كان الله يحفظني من حيث لا أدري كما قال أحد الحكماء:

وإذا العناية لاحظتك عيونها نـم فـالمخـاـوـف كلـهـن أـمـان

محنة الجوع

عندما كنت أسكن مع مجموعة من الطلاب الغرباء عن منطقتي في تلك الغرف في مسجد شبه مهجور وقد أخذ كل واحد منهم غرفة مع أخيه أو قريبه حسب الوساطة طبعاً أنا بقيت بلا غرفة غالباً فكنت أنام في قبيلة المسجد نفسه فكنت أنام على مغتسل الموتى اتقاء لبرودة الأرض والتحفت ببساط الجامع للبرد الشديد فتمت على المغتسل يوماً وأنا أفكر كيف يغسل الميت عليه وكيف يحملونه إلى القبر وكيف وكيف؟ فكان حديث نفسي في اليقظة ثم تابعته على ذلك في رؤيا المنام من حيث لا أشعر فرأيت نفسي ميتاً وقد حملوني إلى القبر وكادوا ينزلونني فصرخت خوفاً ورعباً وكدت أقع على الأرض فنزلت ولم أكمل نومتي عليه ورجعت إلى النوم على الأرض هذا وقد كنت أعمل لمعيشتي في أعمال حرة (بعد انصرافي من المدرسة) في بعض المحلات أو أعمل لها بعض الأعمال كتركيب أففال لسحابات الألبسة لدى بعض التجار ليعطيني قرشاً على تركيب كل قفل فكنت أعمل ثلاثين قفلاً أو أكثر بقليل فكنت أشتري خبزاً بخمسة عشر قرشاً وحلاوة بالباقي وأحياناً أقراص عجة عشت على هذا الحال فترة من الزمن حتى إذا تفسخت أصبغياً بالجروح من المقص فما عدت أستطيع العمل فكنت أنتظر جوعان اليوم واليومين و(الثلاثة مرة واحدة) أنتظر نوم الناس جميعاً لألتقط بقايا الخبز إن وجد فكنت آكل ذلك بالماء حتى مرضت على إثر ذلك وقد هيا الله لي بعض طلاب الثانوية الشرعية فأخذوني إلى الطبيب رغماً عني ودفعوا أجره الطبيب وثمان الدواء وقد أصبحوا الآن جميعاً دكاترة في العلوم الشرعية وكنت طيلة النهار بعد الدوام من المدرسة أعيش في الجامع الأموي غالباً وأخدم الشيخ (ياسين الموقت) رحمه الله، ففي يوم من الأيام أعطاني مبلغاً من المال وقال لي أعطه لمحتاج فوزعته على بعض زملائي في المدرسة غير أن الشيخ سألني بعدها بأيام أين المال الذي أعطيتك؟ قلت: وزعته على زملائي المحتاجين. فقال لي أنا أعطيتك ذلك لتشتري لك ثوباً فقلت لو أنك قلت لي ذلك لفعلت ولكن قلت لي أعطه لمحتاج إليه ثم انتقلت بعد ذلك إلى

غرفة في جامع بعيد في (حارة الباشا) ولكن الله سبحانه لم ينسني من فضله فقد قررت إدارة المدرسة بعد ذلك المرض الشديد تسجيلي مع الطلاب النظاميين براتب قدره عشرون ليرة سورية شهرياً فكنت بها ملكاً وبعد انتقالي إلى تلك الغرفة في ذلك الجامع البعيد كنت وحيداً في ذلك المكان فلا أحد يوقظني لصلاة الفجر فكنت لا أستيقظ إلا بعد طلوع الشمس فنزلت إلى السوق فاشتريت سلسلة جنزير مع قفلين صغيرين عقوبة لنفسي فقللت طرف الجنزير بشبك حديد النافذة وقللت الطرف الآخر على رجلي فكلما تقلبت أشعر بالجنزير لأنظر في الساعة حتى أصبحت أستيقظ لصلاة الفجر دون واسطة والحمد لله رب العالمين.

محنة النساء

إلا أنني لم أسلم من محنة النساء أيضاً فكنت يوماً ما منصرفاً إلى غرفتي عن طريق قلعة حلب وإذا بفتاة تراني وحيداً في الشارع فكشفت أمامي عن ساقها وفخذها متظاهرة برفع جرابها إلى الأعلى فأغمضت عيني وقد أمنيت فوراً فدخلت حمام الجامع فاغتسلت ثم دخلت في الصلاة فتصورت لي الخبيثة أمامي فأنزلت ثانية ثم اغتسلت ثم دخلت في الصلاة أكثر من عشر مرات فلم أقدر على نفسي إلا بدواء واحد هداني الله إليه رأيت أنه أنفع دواء وهو إشعال عود الثقاب (الكبريتة) فأضع النار على أصبعي وكنت أصبر نفسي على النار وأنا أقول لها أتريدين الشهوة إذن فاصبري على هذه النار البسيطة وإن كنت لا تصبرين حتى على عود الثقاب فكيف تصبرين على نار جهنم حتى إنني بقيت في داخل المدرسة فترة من الزمن على هذه الحالة حتى هدأت نفسي بعض الشيء وانتقلت إلى أدوية طبية لأنقل بعدها إلى محن كثيرة غيرها.

محنة الباعة

ومنها وقد خرجت لأشتري طماطم (بندورة) فسألت البائع بكم السعر فقال بمئة وخمسين فذهبت لأبعد منه فقلت بكم السعر فقال بخمسة وستين فاشتريت حاجتي وانصرفت وإذا بالبائع يناديني يا شيخ يا شيخ فرجعت إليه فقال يا شيخ هذا يقول إنك لم تشتري منه لأن الدين يقول إن البيع لا يصح حتى يعرف الجبينان فقلت لا أبداً وهو حديث مكذوب وكلام باطل فمتى قلت لك ذلك يا رجل فسكت ولم يُجر جواباً فقلت ألا تخاف الله تكذب علي وعلى الدين وقد لعن الله الكاذبين اه لو

كان هنا حكومة إسلامية تؤدب الكذابين وتربي الناس على ما يريده ربُّ العالمين (ولولا المربي ما عرفت ربي) كما قيل.

محنة البدع والشيوخ المتدعين

ثم تابعت دراستي النظامية ودراستي الحرة بعد اتفاق مع شيخ المسجد وإمامه وكان في المسجد قبرٍ وليّ يُزار وكذلك صورة كَفِّ يدٍ على الجدار يأتي الناس بموتاهم ومرضاهم للقبر وللكفِّ على الجدار للاستشفاء بتلك الحجارة التي يقال بأنها كف نبي أو رسول فيلتمسون الشفاء منها على حدِّ ما يقولون وكل ذلك مجرد حكايات غير ثابتة فجاء رجلاً يسألان الإمام عن حكم الشريعة في ذلك فأقر الشيخ ذلك التبرك وأنه من باب التوسل فقلت للشيخ أليس التبرك بالقبر والتمسح بالأثر هو نوع من أنواع العبادة التوقيفية (والعبادة أمرها توقيفي) على الدليل الصحيح وقد صحَّ الدليل على تحريم ذلك وأن النبي عليه السلام قال (لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) والمساجد بنيت للصلاة والدعاء لله وطلب الشفاء من الله وحده والأحاديث كثيرة في هذا الباب مع تحريم أهل العلم من المذاهب الأربعة وغيرهم فبقي الشيخ ثابتاً على قوله (دع الناس على نياتهم الصالحة ولسان حاله يقول دعوا للشيخ تلك الأعطيات الرابعة) فكان آخر لقاء مع ذلك الشيخ فما عاد ليعطيني درساً بل ولا كلمة واحدة وأنا أحمد الله على ذلك وكان الشيخ في معرض رده على السائلين قد ذكر حديثاً مكذوباً تأييداً لقوله وهو (توسلوا إلى الله بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) وإن هذا التبرك يدخل في التوسل المشروع بالصالحين ألا ترى أن الإنسان إذا كانت له حاجة عند رئيس مخفر أو مسؤول يتخذ واسطة أو أكثر لقضاء حاجته ونحن نتخذ أولياء الله وأحباب الله واسطةً إلى ربنا ليقضي لنا حاجتنا.... إلى كلام كثير فقلت يا شيخ هل يشبه الله عزَّ وجل بذلك المسؤول الظالم الذي لا يقضي حاجة الناس إلا بالواسطة والرشاوى فلمَ لا تشبه الله عز وجل بنبيه ورسوله الذي كان الأعرابي يأتي من البادية إلى مجلس الرسول فلا يعرفه من أصحابه فيقول أيكم محمد فيقال ذلك الأبيض المتكئ فيسأله حاجته فيقضيها له فوراً والذي كانت المرأة والأمة والطفل الصغير والفقير والمسكين يأخذون بيده فيقضي لهم حاجاتهم ويستمتع إلى شكواهم وقد كان الخلفاء الراشدون على

نهج نبيهم يقضون حاجات الناس دون حاجب ولا بواب ولا واسطة ولا رشاوى ولقد سجلت كلمة رسول ملك الفرس حينما سأل عن قصر أمير المؤمنين فوجده أخيراً نائماً في ظل شجرة من غير حارسٍ ولا حاجبٍ بل كان يجرسه عدله وصدقه مع الله وشعبه فقال قولته المشهورة: «عدلت فأمنت فمنت». وقد وصف الله نفسه فقال سبحانه: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل ادعوني بالواسطة أو بأبيائي وأوليائي وقد حرم الله عز وجل تشبيهه الله بخلقه فقال سبحانه ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، والله أكبر وأجل وأعظم من أن يشبه بأحد من خلقه لأنه ربُّ العالمين وقد ذكر الله أدعية أنبيائه في القرآن كلها بلا واسطة فهذا آدم وحواء لما وقعا في المعصية ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وكذلك نوح ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، وهذا زكريا ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وكذلك أدعية الأنبياء جميعاً بلا واسطة حتى أن إبليس الذي هو أكفر الخلق دعا الله فاستجاب الله دعائه بلا واسطة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [٧٩] قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ [ص: ٧٩-٨١]، إذاً فاتخاذ الواسطة غير المشروعة ضلال مبین وأما التوسل المشروع فهو على إحدى ثلاثة أمور:

١- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.

٢- التوسل إلى الله بدعاء العبد الصالح.

٣- التوسل إلى الله بأسماء الله وصفاته.

وليس التبرك بالقبور أو بأحجارٍ لم يثبت عليها شيء يُتبرك به فكيف بتلك التأويلات التي تجعل من الخرافة والحديث المكذوب عقيدة دينية وعبادة ربانية يتجه فيها المخلوق إلى المخلوق بدلاً من الاتجاه إلى الخالق وحده وهي العقيدة الإسلامية التي جاء بها الكتاب والسنة وعقيدة سلف الأمة وما عليه الأئمة الأربعة والتي تقول ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

عقيدتي

وفي النهاية لقد استقر مرتكزي العلمي الأخير وثبتَ (على العقيدة السلفية) بعد أن تغيرت أفكارى- من التصوف والتعصب للصوفية والمذهبية- إلى اعتدالٍ وانفتاح على الفكر الصحيح للنهضة الإسلامية المعاصرة، وعقيدة السلف الصالح (التي يرجع الفضل فيها إلى الإخوان المسلمين والدعوة السلفية وكان ذلك قبل أن يدخل في جماعتهم من ليس منهم لتشويه سمعتهم)، وكانت:

- ١- خطب الشيخ أبي الخير زين العابدين ودروسه.
- ٢- وخطب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ودروسه وكتبه.
- ٣- وخطب الشيخ عبد الله علوان ودروسه وكتبه وهو الذي يرجع الفضل إليه في توعيتي ونضج أفكارى وإلى إخوانه النجباء والصادقين الشهداء.
- ٤- كالشيخ أحمد فيصل.
- ٥- والشيخ سبحان طراب.

٦- والشيخ عبد الجبار الزيدي وزملائهم كان لهم الأثر البالغ في نفسي.

٧- كما أذكر بالفضل الأستاذ أحمد الحاج رحمه الله الذي كان له السبق في تحوُّلي من التصوف إلى العقيدة الصحيحة السلفية وذلك عندما كنت في إحدى اللقاءات معه في ستينات القرن العشرين وقد شتمت الإخوان المسلمين والوهابية عند ذكرهم وقلت فيهم ما كان يقوله شيوخى من الصوفية لكن الأستاذ أحمد الحاج هدأ من ثورتي وقال لي بلسان المحب والله إنك لمخطئ وكل كلام الصوفية على هذه الجماعات خطأ وباطل وعليك بقراءة كتبهم لتعرف الحقيقة فقلت لكن كتبهم غير متوفرة إلا في الظلام فقال لي هل أنت أولاً مستعداً لقراءة كتبهم فقلت بعد ترددٍ وتخوفٍ نعم فقال لي هاك كتاب معالم في الطريق للسيد قطب فاقرأه ثم ناقشني فيما تراه مخالفاً للدين أو شيئاً مما يقوله شيوخ الصوفية عنه أو عن الإخوان المسلمين أو الوهابية فأخذتُ الكتاب وأنا مترددٌ والله ما كانت نيتي ومرادي إلا أن أجد فيه ثغرةً أو زلةً لأنفذ منها كحجةً لديّ لمتابعة كرهى وثورتي على الإخوان المسلمين والوهابية لكنني فوجئت بعكس ذلك تماماً فقرأت الكتاب ثلاث مراتٍ فلم أجد شيئاً مما يقوله الصوفية إلا أنني وجدت الإسلام الصحيح الذي لا يعرفه شيوخ التصوف ووجدت نفسي في خِصَمِ رُكامِ هائلٍ من الأوهام والأباطيل حتى في الأمور الدينية كان جُلُّها إن لم

أقل كلها مستندها الأحاديث الضعيفة والموضوعة فانقلبت إلى متشككٍ في كل ما عند الصوفية من منهجٍ وفلسفات واهيات لا تتفق مع الإسلام الذي جاء به محمدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وانشرح صدري لفهم الإسلام من جديد الذي كان مُعَيَّبًا عني كل هذه الفترة من حياتي في الصوفية وكانت تزيد على ربع قرن من الزمان رغم أنني كنت إمامًا وخطيبًا وأنا لا أعرف الإسلام الصحيح كالإسلام الذي ينادي به الإخوان والسلفية فقدمت شكري الجزيل لأخي أحمد الحاج وأنا مدينٌ له ولن هداي الله على أيديهم وكتبهم

ثم تابعت دراسة:

- ٨- كتب السيد قطب.
- ٩- وأخيه محمد قطب.
- ١٠- وأمينة قطب.
- ١١- وحميدة قطب.
- ١٢- وكتب حسن البنا وإخوانه.
- ١٣- كالغزالي المعاصر.
- ١٤- وكتب زينب الغزالي.
- ١٥- وكتب السيد سابق.
- ١٦- وكتب محمد يوسف موسى.
- ١٧- وكتب الشيخ محمد أبو زهرة.
- ١٨- كما تابعت دراسة كتب أبي الحسن الندوي.
- ١٩- وأبي الأعلى المودودي.
- ٢٠- وكتب الدكتور مصطفى السباعي.
- ٢١- ومجلة حضارة الإسلام.
- ٢٢- والمجلة السلفية (التمدن الإسلامي). وكذلك أنا مدينٌ بالفضل لتلك المقابلات لبعض شيوخ الإخوان وشيوخ السلفية:
- ٢٣- كالشيخ عبد الله علوان.
- ٢٤- والشيخ سعيد حوى وقراءة كتبه.

- ٢٥- والشيخ محمد نسيب الرفاعي وقراءة كتبه ومناظراتنا والجدال بيننا حول الصوفية والمذهبية.
- ٢٦- وكذلك أذكر بخير تلك الساعات التي عشتها مع شيخ السلفية في إدلب الشيخ نافع شامية رحمه الله وغير هؤلاء الكثير وما وصلت يدي إلى كتابٍ من كتب الإخوان أو كتب السلفية إلا وقرأتها بحبٍ وشغفٍ وأخصُّ منها بالذكر:
- ٢٧- كتب الشيخ عبدالرحمن الوكيل وإخوانه.
- ٢٨- وكتب محمد فهد شقفة.
- ٢٩- وكتب الشيخ يوسف القرضاوي.
- ٣٠- وكتب عبدالرحمن السَّمان.
- ٣١- وكتب محمد أحمد باشميل.
- ٣٢- وكتب مُحَب الدين الخطيب.
- ٣٣- وكتب علي الطنطاوي وأمثالهم من علماء النهضة الإسلامية المعاصرة.

عملي

فمنذ سن البلوغ انتقلت إلى حلب فاشتغلت عاملاً في معامل النسيج وكنت أعيش عند أخي الكبير في حي الصاخور حتى إذا استقللت بنفسي فانتسبت إلى مدرسة الحفاظ عام ١٩٥٩ ولجأت إلى غرف بعض المساجد المهجورة تقريباً والتي كان يلجأ إليها أبناء القرى والأرياف ممن نتفق جميعاً بالفقر وقلة ذات اليد ثم اشتغلت عاملاً في بعض المحلات التجارية (بعد دوامي في المدرسة) فكنت صابراً بل أحمل نفسي على الصبر حتى كنت أبقى جائعاً اليوم واليومين وهذا مثله كثير كما كنت في أيام الشتاء أقاسي البرد القارس وربما كانت أغلب ليالي نومي في الجامع نفسه لا في الغرف وأنا أحمدُ الله وأشكره على كل ذلك لما كنت أسمع شيوخنا يقولون (من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة) خاصة لما سمعت وقرأت للعالم الفاضل الشيخ عبد الفتاح أبي غدة وما كتبه عن صبر العلماء وتحملهم الشدائد في العلم وتحصيله أملاً في أن أكون منهم أو أُلحق بهم اقتداءً بذلك الأعرابي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله المرء يجب القوم ولم يلحق بهم؟ قال: "المرء مع من أحب" (أمالي ابن بشران، المتوفى: ٤٣٠، ج ١، ص ٥٨). وعن أنس بن مالك، قال: جاء رجل إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «وما أعددت للساعة؟» قال: حب الله ورسوله، قال: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فما فرحنا، بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: «فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم. (أخرجه مسلم في صحيحه، باب المرء مع من أحب). وقديماً قال الحكماء: (لولا الأمل لتوقف العمل) وليس العيب في الإنسان أن يطمح للوصول إلى أعلى الدرجات ولكن العيب كل العيب في كل من يرضى بالدون وكما قيل:

ولم أر في عيوب الناس أشدَّ كنفص القادرين على التمام
وكما قال الآخر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا للصابر
ورحم الله والذي حيث قال:

على المرء أن يسعى ولكن ليس عليه إنجاح المقاصد
ثم لجأت إلى الأوقاف فكنت إماماً وكالةً عن بعض الأئمة الرسميين وذلك اعتباراً من سنة ١٩٦٠ وما بعدها ثم تابعت دراستي في مدرسة الحفاظ وكان من رحمة الله بي أن لا أجد مسكناً إلا في المساجد مما جعلني أتأثر بهذا المحيط الذي أعيش فيه على حد قول أهل الإيوان (من العصمة أن لا تجد إلا ما يرضي الله عز وجل)، ثم كان شغلي الشاغل ملاحقة الدروس عند الشيوخ والتفتيش عن الأكثر فائدةً من علماء حلب الأفاضل جزاهم الله جميعاً عني كل خيرٍ وأخيراً بعد إتمام دراستي بقيتُ أخدم في المساجد مدة طويلة من حياتي حتى تخرجت من جامعة الأزهر ثم العمل في المكتبة الإسلامية ثم السجن والمعتقلات ثم العمل التجاري ثم في النهاية أعمل في مكتب الإفتاء للأحكام الشرعية منذ خمس سنوات تقريباً.

أخيراً في مكتب الفتوى للهيئة الشرعية الرباعية وغيرها

وإن كنتُ يعلم الله لا أعتبر نفسي أهلاً لذلك ولا قبلت ذلك عن اختياري ولكن كما قال أحد الحكماء: خَلَّتِ الديارُ فُسُدْتُ غيرَ مُسَوِّدٍ.... وقد جاءني الطلب بإلحاح عليّ وبعد أن فهمت أن هذا المقام إن لم يشغله مسلمٌ مقصراً (مثلي) سيشغله مجرماً أو جاهلاً خرافاً فقلت في نفسي فلن أكون أعجز من الدجاجة إذا رامها عابث أو فاجأها خطر على أفرانها أو حياضها فإنها تستأسد عليه

وتشب على وجهه تريد نقر عينيه وأنا مع اعترافي في تقصيري وهواني حتى على إخواني المسلمين وضعفي حتى عن أخذ حقوقي الشخصية أو الدفاع عن أموري الدنيوية فأنا لست بالهين على كلِّ عدوِّ صائلٍ بل أنا سَبُعٌ على كلِّ خرافةٍ وخرافٍ أو مبيعٍ للدين ومحرفٍ أو محاربٍ ولما علمت أن البعوض في بلدي يستأسد وأنَّ بعض من لا يعرف المبادئ الأولية للأحكام بل من لا يفرق بين الفاعل من المفعول به في اللغة وقد تقدم ليكون قاضياً أو مفتياً وتصدَّرَ لتنفيذ أحكام الإسلام وإطلاق الأحكام وهو جاهلٌ غبي وقد تم بعض ذلك بالفعل!، فعندها شمَّرت عن ساعدِ الجد وبدأت أذود عن حياض ديني بقدر المستطاع مستعيناً بالله بعد تبرئي من حولي وطولي وقوتي وكنت ولا زلت أستنير بأقوال أهل العلم وأختار أقربها وأوفاها بالمطلوب فأتقدم بالجواب على أي مسألةٍ بعد الرجوع فيها إلى أهل الذكر كما أمر الله بذلك ورسوله بقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]. وأنا بدوري لا أدخر جهداً في بحث أي مسألة مع إخواني من أهل العلم ممن أثق بعلمهم ومعرفتهم ومن خلال المكتبة الشاملة والمراجع العلمية الهامة للفتوى فإن أحسنت فهذا ما أردت والحمد لله وإن كانت الأخرى فأرجو الله المغفرة وأنا راجع عن الخطأ في حياتي وبعد مماتي (كما قال الإمام الشافعي رحمه الله) ومن المعلوم أنَّ علماء الأُمَّة عموماً يعيشون على مائدة الكتاب والسنة وما ذهب إليه سلفُ الأُمَّة ونحن على مائدة علمهم راتعون وعلى ما ساروا عليه سائرون (إن شاء الله) ونحن نعتقد جازمين بقول الإمام مالك أنه لا يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله... وأنه ما مِنَّا إِلَّا مَنْ رَدَّ وَرَدَّ عَلَيْهِ إِلَّا صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ». وفي رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ». وأن نجعل شعارنا (هياً إلى الإسلام من جديد) بعلمٍ وعملٍ واتباعٍ صحيح عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي الختام فإنني لا زلت أعتبر نفسي طالبَ علمٍ كلما وقفت على كتاب جديد كأنها وقفت على كنزٍ ثمينٍ لا أملُّ القراءة والمطالعة ما دمت حياً والحمد لله ولا زلت طالباً شغوفاً بالقراءة منذُ أكثر من خمسين سنةً وإنِّي لأرجو الله التوفيق إلى العلم النافع والجهد والجهاد الصادق الذي أمر الله باتباعه بقوله سبحانه ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، والبصيرة تكون بالعلم الشرعي الصحيح وليكن معلوماً لكل مسلم أننا أُمَّةٌ ﴿أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي

خَلَقَ ﴿١﴾ [العلق: ١]. فنحن أمة الدليل الحق لا نقبل ديناً إلا بدليلٍ صحيح يشهد له الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة لأنهم خير أمةٍ أخرجت للناس. وكُلُّ خيرٍ في اتباع من سلف وكل شر في ابتداء من خلف ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ولا تزال الأمة بخيرٍ والحمد لله فهي مثل المطر خيرٌ كلّه وكل أحد يأخذ على قدره وكل رجائي في ربنا حسن ختامنا ودخولنا في زمرة عباده الصالحين.

محتني أو ضريبة الإيمان في سطور

الحمدُ لله وكفى وسلامٌ على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على عبده ونبيه ورسوله المجتبي وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه فكانوا سادة الأمم بعد أن كانوا رعاة الغنم بما صبروا وصابروا وربطوا جهداً وجهادا في سبيل الله إعلاءً لكلمه الله فكانوا يتقلبون في نعيم الأيمان ورضى الرحمن على حد ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ما يفعل بي أعدائي ...؟ أنا جنتي في صدري فإن سجنني خلوة ونفيي سياحة وقتلي شهادة. هذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وقد وعد الله بالنصر ثمرةً من ثمار الصبر للمستحقين ووعد الله حقاً ومن أصدق من الله قبلاً ومن أصدق من الله حديثاً؛ لا أحد، لا أحد.

أمَّا بعد:

فإليكم جوابي أيها الإخوة السائلون عن محتني وما تعرضت له من التعذيب والإرهاب في زنازين الظالمين أسوةً بأصحاب الأعدود وتلك ضريبة الإيمان الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، ففازوا بذلك الفوز العظيم في الدنيا بثباتهم على الدين وفي الآخرة بالفوز في جنات النعيم بدايةً أقول:

محنة المسلم الواعي

وقد كنا مجتمعين يوماً ما اجتماعاً أخوياً (على غير ميعاد) نتذاكر ما صار إليه أمر الإسلام الذي أصبح المسلم الواعي (الفاهم لدينه الفهم الصحيح) فيه متهمًا بجميع أنواع التهم المعلبة - رجعي، متعصب، إرهابي، إرهابي دولي - حتى لو أنه قال لا إله إلا الله فإنه خطير وخطير للغاية يجب تطهير

الأرض منه على حد ما قاله قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢] وذلك للحكم عليه بالإعدام والتصفية الجسدية باسم الخطورة على الدولة والمجتمع وتوزع صورته على جميع وسائل الإعلام المخبراتية الدولية لوضعه في قائمة الإرهاب الدولي ووضعه تحت المراقبة أينما توجه وحيثما عمل أو تكلم فقال بعض الحاضرين هل نحن قد وصلنا إلى هذا الحد حتى إذا قال المسلم كلمة لا إله إلا الله أنه يتهم ويسأل عنها وكان في هذا القائل بعض السذاجة ثم أردف قائلاً فلم إذا كُله هذا التسلط على المسلمين وحدهم من بين الأحزاب والأديان، فقال أحدهم في ختام هذه الجلسة من يستطيع منكم أن يعلن بلا إله إلا الله محمد رسول الله في ساحة سعد الله أمام البريد عند مجمع الناس وله جائزة عظيمة فقلت أنا والله لا أستطيع، فقال صاحب السذاجة والقلب الطيب أنا أستطيع فقلنا له لكن بشرط أن تتحمل مسؤوليتها وحدك وألا تذكر أحدًا معك، فقال قبلت، فجاء إلى الساحة ومجمع الناس وصرخ قائلاً لا إله إلا الله محمد رسول الله فهرع إليه رجال الأمن وهبوا إليه من كل جهة (ولاك ولاك) ماذا تقول؟ قال صاحبنا مكرراً، لا إله إلا الله فقالوا ماذا تريد بها، من أنت، ما الذي دفعك، فكرر لا إله إلا الله محمد رسول الله كأنه لا يعرف غيرها من الكلام وكُل أجوبته لا إله إلا الله محمد رسول الله قالوا أخيراً أنت لمن تتبع وما هي غايتك فقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وبدت عليه علائم الخوف إلا أنه بقي متمسكاً بلا إله إلا الله محمد رسول الله فلا يتكلم بغيرها ولا يعرف سواها فما كان من بعضهم إلا أن قال للرفاق دعوه فإنه مجنون انصرف ولاك ولا تعيدها، فكان ختامها خوف وإرهاب وتمتات بالسباب والشتائم.

في خطبة الجمعة

فقلت إليكم هذه القصة المؤلمة لقد طلب مني صديق لي أن أخطب الجمعة في قرية كفر حمرة سنة ١٩٦٨ حيث لا يوجد لديهم خطيب للجمعة فصعدت المنبر وإذا بعنصر مخبرات ينظر إلي نظرة ذات مغزى وقد جلس في الصف الأول وأخرج من جيبه ورقة وقلماً وهو ينظر إلي وأنظر إليه وهو يكتب ملاحظاته وما يمكن أن أدان به طبعاً أنا كنت حذراً أتكلم بحذر بالغ ويا ليتني سلمت من الاستدعاء والمساءلة لفروع المخبرات الأمنية والعسكرية فقال صاحبنا الساذج فهل يا ترى تُراقب الكنائس ودور عبادة اليهود وأمثالها كما تراقب المساجد فكان الجواب لا وألف لا، فقال إذا فلم كل

هذه الأضواء المسلطة على الإسلام ومساجده ودعائه كان الجواب البدهي طبعاً أن غير الإسلام من الأديان لا يخيف الظالمين لسبب واضح وهو أنها أديان بشرية قد أعطت ما لقيصر لقيصر فتخلت له عن الدنيا وما فيها ومن فيها ليفعل الطاغوت ما يشاء ويريد فليس عندهم دينٌ صحيحٌ يحرصون عليه أو يلقي عليهم مسؤولية المحافظة على تبليغه وتطبيقه في العالمين فطبيعي أن لا يتدخل الطاغوت في شؤونهم الدينية فالقسيس والحاخام والظالم والملحد حرٌّ طليقٌ في كل ما يريده من فساد وإفساد ومن بيع صكوك الغفران وقصور الجنة وبكل الأساليب الشيطانية المتنوعة حتى وإن كان كفراً بواحا أو خرقاً للآداب العامة أو خدشاً في الحياء حتى السباب والشتم لرب العالمين حتى قال شاعرهم:

(يُسأقُ للسجن من سبَّ الرئيسَ ومن سبَّ الإله فإنَّ الناسَ أحرارُ)

كل ذلك وأعظم منه بل لدى اليهود والنصارى والمجوس محاكمهم الخاصة وقضاتهم تحت سمع الحكومات وبصرها (وتعرف بمحاكم الطوائف) فلا يتدخل الطاغوت في شؤونهم ولا يراقبهم، فكلهم قد أسقط الله من حسابه فلا عقيدة ولا إيمان بالآخرة فكانا أخوين لكنَّ القيصر (الطاغوت) باسم القانون والسياسة والقسيس والحاخام باسم الله والدين والكنيسة فطبيعي أن يجتمع الطرفان على من يُنكرُ عليها الظلم والكذب والتسلط على عباد الله، وليس هذا إلا الإسلام الذين أناط مسؤولية إحقاق الحق وإزهاق الباطل بالمسلمين وحدهم، لأنهم على الدين الحق وحدهم وجعل تعبيد العباد جميعاً لله وحده لا شريك له وتخليصهم من الظلم أمانة في أعناقهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، و﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ولقوله عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر: (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض بعد اليوم) وإنما الأمانة أو الخيانة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٧] و﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨]. إذا فالمسلمون عملياً هم المسؤولون وحدهم في الدنيا والآخرة عن هذا الدين وإن كانت البشرية كلها نظرياً مكلفة ومسؤولة عن هذا الإسلام في الآخرة لأنه دين الله للعالم كله ومكلفون بتبليغ أحكامه وتخليص العباد من ظلم بعضهم بعضاً ومن

ظلم فراعتهم الذين هم أساس البلاء على الشعوب المستضعفة كما أمرنا الله عز وجل بتحقيق التوحيد لعبودية الله وحده في كل شيء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

في فرع مخابرات أمن الدولة

وأخيراً وليس أخراً وبعد مضي سنتين على الخطبة تلك يُطرق الباب عليّ بعنفٍ وشدة بعد منتصف الليل - افتح، افتح - فعرفت أنها طريقة المخابرات المعهودة ولم ينتظر الطارق لأفتح له الباب لكنه رفس الباب فكسره وانهال عليّ بالسباب والشتائم واللعنات وبعد تفتيش دقيق أخذ بعض الكتب من مكتبتي الخاصة ثم قال هات يديك فقيدني ثم قال امش حافياً عارياً بلباس النوم فذهبت وأنا هائمٌ على وجهي معلق القلب والروح بالله عز وجل لا أحسُ بشيء من الدنيا إلا بالضرب واللطم مع السباب والشتائم حتى وصلنا إلى فرع المخابرات وهناك شاهدت ما لم يكن في الحسبان ولا كأني بائع الجبهة والجولان وأخيراً جاءني المحقق ليسأل من هو الرجل الذي صافحته بعد صلاة الجمعة في كفر حمرة بعد خطبة الجمعة ومن هو الذي أخذك إلى الغداء وما هو الحديث الذي دار بينكم ومن هم الخمسة الحاضرون وطبعاً نحن نعلم كل شيء وقد فتح الملف وبدأ يقرأ حتى أن الغداء كان محشي مع اللبن وبطيخ فلا تكتم عنّا شيئاً فنحن عارفون كل شيء مثل الله، فقلت والله ما عدت أذكر أحداً وما دتمت تعرفون الغيب مثل الله فاكتب ما تريد وأنا أوقع لك عليه فقال لا أبداً لا بد أن تقول أنت ما هو الواقع لنرى مصداق ما تقول فقلت أنا لا أذكر شيئاً بعد السنتين فقال سنذكرك لتتذكر فكتتم خمسة أشخاص المتحدث إبراهيم ناصيف أمام كل من المدعو عبدو أحرص وأبو بهاء الفلسطيني وأنت وشخص آخر فمن هو الشخص الآخر قلت لا أعلم فقال قد كان من حديث إبراهيم ناصيف أنه كان رئيس مخفر بلدة قرداحة في ثلاثينات القرن العشرين الحالي وذات يوم جاء شخص من بيت إبراهيم العلي جيران بيت الوحش يشتكي على حافظ الوحش وكان في الثانوية مع أخيه رفعت وكان في الإعدادية بسرقة الحمار بعد أن سهر سهرة طويلة مع وردة العلي

وأطال السهرة معها ثم تظاهر بإرادة النوم فأخرج الحمار وذهب به مع أخيه حافظ الذي كان بانتظاره خلف الدار لإيداع الحمار في إسطنبول بيت سمعو إبراهيم وأخيراً تم استدعاء حافظ مع أخيه إلى المخفر وتم التحقيق معها إلا أن رفعت قد اعترف بسرقة الحمار وحده وبراأ أخاه غير أن إسماعيل العلي أخو وردة العلي جاء مدعياً على حافظ بالتحرش بأخته وردة والبقاء معها حتى الضحى وهم يشوشون على العائلة وقد حضر والد حافظ الوحش للتوسط لولده وهنا قام إبراهيم ناصيف بضرب حافظ وتأنيبه بعد شهادة الشهود وصار في المخفر فوضى وارتفعت الأصوات لكن الشرطي يقول لرئيس المخفر سيدي الأمر سهل جداً فإن المشكلة ليست مشكلة التحرش بوردة لكن المشكلة بالإزعاج وإفلاق الراحة وهذا أمرٌ طبيعي فإنَّ المواطن إسماعيل العلي المدعي يقول له الشرطي أنا أراك كلَّ يومٍ في السهرة عند (نجمة الصبح) عمه حافظ الوحش وهي تغني وترقص وتنام أنت بين يديها حتى الصباح وكلنا نتناوب النوم معها كل ليلة فأين هي المشكلة على الحقيقة قال إسماعيل العلي يا سيدي ليست المشكلة في الانبساط والكيف ولا في الحرية الشخصية المشكلة يا سيدي هي الإزعاج والفوضى وقشقة الطعام كلُّه من البراد فلم يبقَ لنا ما نفطر عليه حتى الحليبات في البقرات ما تركوها لنا وكانت العكوشة هربت خوفاً بالليل منهم وكادت أن تدوس على قلب العجوز وكُلُّ ذلك من الخربشة والدوشة والطوشة التي قام بها حافظ مع وردة وأخيراً سرقوا الحمار فقال إبراهيم ناصيف مادام الأمر عندكم بهذا الشكل إذاً فأنتم لا مشكلة بينكم فخذوا الحمار وتساحوا ثم التفت إبراهيم ناصيف قائلاً لوالد حافظ ما هذا الحال وكيف تسمح لأختك ترقص وتغني للشباب فقال يا سيدي نحن جماعة فقراء لا نملك شيئاً وبئ (أبي) رجال كبير الله رزقه هالبت الجميلة فتعلمت الغناء وبرعت فيه وأصبحت الشهيرة بـ(نجمة الصبح) سهرتها كل ليلة حتى غياب نجمة الصبح عند طلعة الشمس فهي الحمد لله مكيفة وتُكَيِّف الشباب وتجيّب لنا كل يوم رزقة ما هي بالحسبان الله الوكيل أن نجمة الصبح ربنا يخليلنا إياها أفضل من عشرين فدّان أرض والله عايشين من فضلها وإيش نقصت هيّ والحمد لله كل يوم في المزيد من الزباين والإقبال عليها فقال الشرطي نعم أنا أصدّق ما يقول أبو حافظ فملتقى الشباب عموماً حتى الصباح عند نجمة الصبح وأنا منهم فقال والد حافظ وأنت سيدي الكريم رئيس المخفر لا تحرم حالك من نجمة الصبح وكذلك الشرطة فعندها ما يسركم وأنا أوصيها بكم!!!

في التحقيق

كُلُّ هذا يقرؤه محقق المخبرات وهو يرمقني بنظراته الخبيثة، ثم قال لي أليس هذا كله كلام إبراهيم ناصيف فقلت لا أعلم إن كان قد قال ذلك أم لا فإني ما عدت أذكر شيئاً لطول المدة. ثم قال على كل حال كُـلُّ هذا الكلام نحن لا يهمننا ذلك إنَّ الذي يهمننا ما هو الحديث الذي دار بينكم من أحاديث الإخوان المسلمين أو الوهابية وإليك السؤال المحدد هو لما قال إبراهيم ناصيف للشخص الخامس لما كُنَّا في السجن أعطيت لابن عمك فلان عشرين ألف ليرة سوري و يقول الشخص الآخر ليس لي علاقة بابن عمي ولا أدفعها لك فقلت له أنت ليس لك الحق أعط الرجل العشرين ألف وهذا يدلُّ على أن لك علاقةً بالإخوان المسلمين فقلتُ لا بالله إلا من باب المحبة لإبراهيم ناصيف وإنما من باب عدم قطع المعروف والإحسان فما كان من رئيس المحققين (أبو هاشم) إلا أن قام عليّ وبدأ ينتف شعر لحيتي بعنفٍ وشدة ويضعه تحت حذائه ويقول هكذا نحن ندوس على ذقون المشايخ وأهل الدين وبقيتُ في التعذيب من المساء حتى طلعة الشمس وهو ما بين ضربٍ وتهديدٍ ووعيد وأنا مصرٌّ على أنني لا أعرف شيئاً عن الإخوان ولا الوهابية وإنما قلت كلمتي عن غير قصدٍ لردِّ المبلغ إلى من نحن في ضيافته... فقال المحقق السؤال الثاني لم أهديت أحد أصحابك رسالةً دينيةً تأليفُ الإخوان، فقلت أنا لا أعرف هذا الصاحب ولا الكتاب فقال لكنَّ الشخص صاحبك وهو القائل بهذه الهدية فقلتُ إن قال ذلك فقد كذب (وكان صاحبي هذا قد أخبرني بعدما خرجنا أنهم كانوا يقولون له قل هذه الرسالة من عند صاحبك فلان عني وأنت حرٌّ طليق وكانوا يقولون له إن صاحبك يعترف بأنه هو الذي أعطاك الرسالة -فقل أنت ذلك- فكان يقول لهم إن قال ذلك فقد كذب فأنا لا أعلم من أين صارت إليَّ هذه الرسالة وأنا هاوي كتب كلاعب الطابة وإن كنت لا ألعب وأنا لا أعرف القراءة إلا أنني أحبُّ جمع الكتب فقط) ثم كان ما كان مما لم أعد أذكره فظنَّ شرًّا ولا تسأل عن الخبر ثم بعد عشرة أيام في الزنزانة تحولنا بعدها إلى المركزي ثلاثين يوماً ليطلق سراحنا بعدها وكأنها وُلِدَتْ من جديد.

ملحوظة حول اعتقال إبراهيم ناصيف

قد تمَّ اعتقال إبراهيم ناصيف في تدمر ثماني سنين ونيف وعمره يزيد على التسعين عامًا وق أذاقوه من الضرب والتعذيب ما يعجب الإنسان كيف بقي هذا حيًّا.

في السهرة

ثم وبعد فترة طويلة من الزمن وأنا بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن الإمامة أو الخطابة إلا أنني أُفاجأُ أحياناً بعدم وجود إمام أو خطيب فأتقدم كضرورة لا بد منها غير أنني دُعيت يوماً للسهرة كالعادة عند بعض أقربائنا فكان الحاضرون قد ملؤوا البيت فكان الحديث معهم متبادلاً ولكنني كنت أنحو منحى اليقظة الفكرية وتصحيح العقيدة الإسلامية بضرب الأمثال لإيضاح الفكرة وما كنت أظنُّ أن يكون أحد هؤلاء الناس حتى من أقربائي هو الشيطان الخنَّاس الذي يوسوس في صدور الناس فقام بالإبلاغ عليَّ للمخابرات لأمرٍ هو في نظري ونظر العقل والمنطق أمر تافهٌ لا يُلتفت إليه ولا يُعول عليه فكان ما كان مما لا تنسى آلامه ولا تمنحي ذكرياته لتبقى إلى الدار الآخرة ليحكم بيننا ربنا كما قيل:

إلى ديَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي ————— وعنــد الله تجتمع الخــصوم

أما أنا فقد استُدعيت إلى فرع المخابرات للمساءلة عن ملاحظاتهم على كلمات السهرة وما قدم المخبر في ذلك التقرير فكان الاستدعاء للحضور قبل الظهر فحضرت على الموعد فأوقفوني ساعة في البرد الشديد أمام الغرف وكنا في أربعمائة الشتاء والبرد القارس ثم أعطوني هويتي وقالوا تأتي غداً في مثل هذا الوقت، وهكذا بقيت خمسة أيام وأنا أحسب ألف حساب وحساب، يا ترى ماذا تكلمت ماذا سجلوا عليَّ من ملاحظات، ماذا كتب عني ذلك الخبيث ما هي الأسئلة؟

في فرع المخابرات

وأخيراً في اليوم الخامس أدخلوني على رئيس الفرع فقال لي: أنت فلان؟ فقلت نعم فقال: أنت الوهابي فقلت: لا علاقة لي بالوهابية ولست منهم، قال: إذا أنت من الإخوان المسلمين فقلت: لا أبداً، فقال: إذا أنت رجعي مترمت، إرهابي متعصب، لا يعجبك شيء وكل شيء لا يعجبك أنت تنكره وتشيع الفوضى في المجتمع ضد الدولة نحن نعلم أن كل من يجرى الفتن في البلاد باسم الدين إما أن يكون من الوهابية أو من الإخوان المسلمين.

رئيس الفرع يُدافع عن كرامات الشيخ البدوي

وإذا لم تكن من الوهابية فلماذا إذاً تنكر كرامات الأولياء والصالحين وأنت شيخ وكيف تنكر كل شيء لا يعجبك قلت: أنا ما أنكرت ولا أنكر كرامات أولياء الله أبداً وكيف أنكرها وقد أثبتها الله في كتابه كما جاء في سورة مريم وآل عمران ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٣٧]. ولكنني أنكرت خرافة لا تتفق مع الإسلام ولا مع العقل والمنطق وهي قصة الشيخ البدوي التي يقولون فيها أن أمه قبل أن تتزوج قد خرجت إلى الحقل فلحق بها بعض الأشقياء يريد اغتصابها فيقولون فضرب الشيخ البدوي برجله على بطن الشقي فهرب فخلص الشيخ البدوي أمه من الاغتصاب قبل زواجها كرامة للشيخ البدوي فقلت سبحان الله كيف يعقل هذا فقال السيد رئيس الفرع أنت كل شيء لا يعجبك تنكره وتقول عنه خرافة وأمسك بكأس الماء وقال أنا إذا قلت إن الماء مؤلف من الأوكسجين والهيدروجين تضحك وتقول خرافة لأنك جاهل لا تعرف ذلك فقلت لكن هذه حقيقة علمية أيدتها المخابر الطبية، فقاطعني وقال اسكت إنك وهابي جاهل فقلت والله أنا ما قلت ذلك أمام أحد ولست إماماً ولا خطيباً ولا مدرساً فقط قلتها في أحد المجالس على سبيل النكتة وليس على سبيل الحكم والتقرير فقال وإن كان في بيتك فلا نسمح لك بكلمة واحدة تخالفنا فيها ومع ذلك فإن عليك ملاحظات ولماذا تكرر في جلساتك و دروسك حث الناس على الفوضى والتشويش والمشاكل باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الدين قلت معاذ الله أن أريد ذلك فقال أما تعلم ما قاله أهل العلم والفهم (إن الدين لله والوطن للجميع) وأن عليك أن تقول ما كان يقوله كبار الشيوخ والأولياء (كل من على دينو الله يعينوا) و(أنت مانك أغير على الدين من الله)، و(إن للبيت رباً يحميه) ولاك إيش لك في المحاكم والحكومات والحكم بغير ما أنزل الله هل أنت المسؤول عن الدين؟ هل تظن أنك وحدك مسلم؟ كلنا مسلمون وسيادة الرئيس أكبر مسلم في هذا البلد فإنه يصلي منذ ثلاثين عاماً وأعضاء الحكومة كلهم مسلمون بل هم المحافظون على الإسلام وحدود بلاد الإسلام قلت سيدي إلى أين أوصلتني قد فتحت عليّ باباً أنا لم أدخله ولم أقل به فضحك قائلاً لكن نحن نعلم مؤدى كلامك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا كنت تظن أننا لا نفهم مرادك وماذا تقصد فنحن فاهمون وعارفون وأخيراً فاعلم أن هذا آخر إنذار لك إن تكلمت بكلمة واحدة مما تكلمت به أو جاءتنا أي ملاحظة عليك فاعلم أنها نهايتك، ومع ذلك فاحذر أن

تكون إماماً أو مدرساً أو خطيباً بعد اليوم قم فانصرف تحت مراقبتنا لتكون نهايتك عند أول ملاحظة عليك فانصرفت أنفض عن نفسي غبار كارثة كادت أن تقع عليّ فأنا أحمد الله وأشكره على أن ترححت عني بعجيب قدر الله سبحانه فلما دخلت البيت على أهلي وأولادي كأنها ولدت من جديد فتحلق الأهل والإخوة والأخوات والأولاد حولي يسألونني ما الذي حدث فذكرت كل ذلك فقال الجميع بصوت واحد خلاص ما بقى بدنا الإمامة ولا الخطابة ولا التدريس ولا السهرات فقلت أنا لا أعرف صنعة أعيش منها مع أولادي فإذا أفتح مكتبة لبيع القرطاسية والأدوات المدرسية إضافة إلى الكتب الإسلامية.

في المكتبة الإسلامية

وقمت فعلاً فافتتحت مكتبةً إسلامية طالباً من الله تيسير الأمور وطبعاً كلها في الدين من أهل الخير وكان فضل الله عليّ عظيماً فقد أقبل الناس عليّ إقبالاً رائعاً وراجت الكتب الإسلامية وقد أقبل الشباب المسلم عليّ يطلبون مني الكتب المعاصرة لعلماء النهضة الإسلامية خاصةً للعلماء النابهين:

١- كالشيخ محمد الحامد الحموي.

٢- والشيخ سعيد حوى.

٣- وعبد الله علوان.

٤- ومصطفى السباعي.

٥- ومجلة حضارة الإسلام.

٦- ومجلة التمدن الإسلامي.

٧- وكتب محمود مهدي إستنبولي.

٨- وكتب محمد عيد عباسي.

٩- وكتب فتحي يكن.

١٠- وكتب عبد الرزاق نوفل.

١١- وكتب محمد الغزالي.

١٢- وكتب السيد سابق.

١٣- وكتب أبو الأعلى المودودي.

وكتب أبي الحسن الندوي وأمثالهم وكلها كتب تشرح مفاهيم الإسلام وعقيدة الإسلام وجمال الإسلام وهداية الإسلام بأسلوب جذاب ولا تتعرض لنقد أو تجريح لأحد لكن المخبرات ما إن رأوا إقبال الشباب على هذه الكتب حتى تسلطوا وسلطوا الأضواء عليَّ وأصبحت تحت المراقبة الشديدة فكلما جئت بدفعة كتب هرعوا إليَّ مسرعين يفتشون الكتب فيأخذون منها ومعها ما يريدون من متطلبات أولادهم من القرطاسية والأدوات المدرسية باسم الكتب الممنوعة ويقولون راجع الفرع الساعة كذا، وتكررت هذه الحالة عشرات بل مئات المرات.

في زنانة التحقيق

حتى كانت آخر مرة وضعوني في الزنانة المنفردة حتى استدعاني المحقق بعد طول وعناء الانتظار فسألني من أين تأتي بهذه الكتب قلت من أسواق سورية قال من أي مكتبة قلت مكتبات سورية قال خصص من أي مكتبة ومع من أنت تتعامل قلت لا أتعامل مع شخص معين فأنا تاجر أبتغي الربح التجاري فأبحث في المكتبات عن الكتب الرائجة لأربح منها فقال لا بد أن تذكر مكتبة معينة من الذي باعك هذا الكتاب - وهي رسالة صغيرة عنوانها - لا إله إلا الله منهج حياة كاملة - لحميدة قطب - وكتاب قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهلها - وكتاب - لماذا كل هذا الرعب من الإسلام - فقلت سوف أسأل أصحاب المكتبات من الذي باعني هذه الكتب إن شاء الله وأخبركم إن عرفتهم إلا أنه قال ولم يتبع هذه الكتب دون غيرها فقلت بل أبيع غيرها أيضًا فعندي كتب الشيخ عبد الله سراج الدين و كتب البوطي و كتب أديب حسون وكتب مشايخ الصوفية إضافةً إلى هذه الكتب المتوفرة في الأسواق فقال هذه الكتب ممنوعة لأنها كتب الرجعية وأهل التعصب وكتب الإرهابيين فقلت أبدأً هي كتب ثقافية لا يوجد فيها شيء مما تقول ولو كانت كما تقول لما وجدتها متوفرة في الأسواق فأمسك بكتاب - لا إله إلا الله منهج حياة كاملة - فقال ولك هذا الكتاب كتاب ثقافة أم كتاب يدعو إلى تمسك المجتمع كله بالإسلام ويرفض الحكم بغير ما أنزل الله هذا الكتاب كتاب ثورة اجتماعية هذا كتاب إرهاب هذا كتاب إجرام فلم تنشر هذه الكتب فقلت أنا تاجر يهمني الربح المادي فقط، وقلت ألا ترى أنه كتاب للأطفال لأن ثمنه ٢٥ ق.س هذا فقط للأطفال يا سيدي وما يفعل الأطفال به إلا التسلية وبعد كل هذا أأنت مسلمًا ماذا يضرك إن انتشرت لا إله إلا الله وأصبحت منهج حياة كاملة فردَّ عليَّ قائلاً أنا لست مسلمًا بل من عباد الشيطان

ومن قال لك أنا مسلم ثم ألا تعلم أن هذه الأفكار إن انتشرت ستكون بلاء على العالم وسينتشر الإرهاب في كل مكان وتعود الرجعية العربية إلى استعباد الناس وقطع الأيدي والأرجل والجلد والرجم وعقلية العصر الحجري عصر الجهل والحمير وكمخ المرأة كالقماموع الأسود (كالغراب الأسود) ونحن في عصر الحضارة والتقدم عصر الذرة والأقمار الصناعية نحن في عصر الحرية لا في العصور الحجرية لكنكم لا تفهمون قم فاذهب إلى التحقيق فذهب بي إلى التحقيق وما أدراك ما التحقيق لا أراكم الله ذلك التحقيق إنه الجلد والتعذيب الذي لا يعرف الإنسانية فكنت بين أيديهم كالطفل الصغير أو كالطابة أو الفوتبول بين أرجل اللاعبين حتى إذا انتهيت وأشرفت على الموت سحبوني إلى الزنزانة لبضعة أيام ثم إلى السجن المركزي بقيت به شهرًا ثم أُطلق سراحى لبضعة أشهر ثم اعتقالي ونقلني إلى معتقل هنانو من باب عسى أن يعترف عليّ أحد في خلال التحقيقات الجارية في كافة الفروع وبقيت هناك ستة أشهر تقريبًا ولمَّا لم يرد اسمي في التحقيقات الجارية أمروا بتحويلني إلى سجن تدمر لفترة تأديبية كما أفاد ذلك المحقق ويا ليت أمي لم تلدني ما الذي عملته حتى سحبوني على سجن تدمر ولا تسأل عن توديعنا عند ركوب باصات تدمر فكنا مقرونين كل اثنين تحت الكراسي لا فوقها والضرب فوق رؤوسنا وظهورنا للتسلية.

في سجن تدمر

حتى وصلنا تدمر في ٣١ / ١٢ / ١٩٨٠ وفي مهجع / ٨ / ويا لهول ما وجدنا في عملية الاستقبال في تدمر كان مشهدًا مرعبًا مشيياً مهولاً حقاً وبعد (التعذيب الجماعي) هناك (تعذيب إفرادي) وشرطهم أن يغني المَعذِب وهو في التعذيب فكنا نغني ونحن نُعذِب وهم يضحكون ومن لا يعرف يغني يعلمونه ثم أدخلنا المهجع وما أدراك ما تلك المهجع المليئة بالأوساخ مع البطانيات المليئة بالجرب وأنواع الجراثيم وكان في البداية لكل ثلاثة أشخاص بطانيتان يفرشون واحدة ويلتحفون الثانية وبسببها تفسى فينا الجرب الفظيع حتى لم يبقَ منّا إلا القليل لم يصبَّ بالجرب وأنواع الأمراض وأما الطعام وسوء التغذية وسوء المعاملة فحدّث ولا حرج مما يجعلك تعجب كيف خرج من سجن تدمر أحياء وإذا خرج أحياء كيف خرجوا عقلاء أو بدون عاهات أو أمراض مزمنة إلا أنه فضل الله أولاً وآخرًا وقبل أن أنسى أن الحياة في تدمر بإغلاق العينين والشم حتى الخروج من الحياة أو السجن وكان البرنامج كالتالي:

١. الفطور ربع صمونة ممزوجة غالبًا بالمازوت وأعقاب السجاير مع ملعقة شاي لكل ثمانية أشخاص كأس شاي واحد مع عشر غرامات لبنة وحبتين زيتون أو ثلاثة وطعام العيد كان حبة مُحْصَ واحدة مسلوقة ولا تنسى أن الذين يخرجون ليدخلوا الطعام على المهجع لأبَد من جلدهم قدر الإمكان للتسلية.
٢. وكثيرًا ما كان فوق الطعام وخاصة الشاي نجد فوقه (التف) و (النف) و أعقاب السجائر وآثار البول ورائحته وأحيانًا يكون الغائط ملفوفًا ضمن الأرز أو البرغل فيسألني القائم على الطعام نجد بولًا على الشاي أو الخبز فأجيبهم كلوا ولا تتكلموا فإن الضرورات تبيح المحظورات وأما الغائط والأوساخ فأخرجوها!.
و بعد الفطور يأتي دور:
٣. الخروج على التعذيب بعد الفطور يوميًا وهو على أنواع نوع الضرب بالكراييج على الأيدي والرأس والجسم عمومًا ونوع بالدولاب حتى يخرج المتهم من الدولاب وقد انتهى.
٤. وبعد الظهر الخروج أمام المهجع للتفقد والضرب بالكراييج الرباعية على الرأس والعيون ذهابًا وإيابًا.
٥. ثم وحتى نحن في المهجع ممنوعون من الكلام أو فتح أحاديث أو صلاة أو صيام وأي إنسان شعروا به أنه يصلي فالويل له.
٦. في سقف كل مهجع فتحة بقدر الباب الكبير لمراقبة حُرّاس الأسطحة على المساجين لإخراج عدد منهم يوميًا لغرفة التعذيب الخاصة
٧. وعملٌ عريف المهجع هو ضبط من يفتح عينه أو فمه بكلمة أو يصلي أو يقرأ وكذلك إخراج من يُنادى عليه للتحقيق أو الإعدام..
٨. والحلاقة الأسبوعية فكانت بمثابة سلخ جلدة الوجه حتى يبدو وجه الإنسان وعنقه قطعة لحم مسلوخة جديدًا كأنه مذبح وأما الرأس فهو كالقصيصة الزراعية المتوفة.
٩. وأما الحَمَام فلا أراك الله ذلك الحَمَام فهو عبارة عن حفلة جلدٍ بالكراييج الرباعية لقطراتٍ من الماء على الجسم ومدة التحميم خمس دقائق لمُتَيْنِ وثمانية أشخاص ويزيدون وينقصون أحيانًا.

١٠. وأما التنفس اليومي للشمسية فتتخلله الكرايبيج والضرب بالسطار على الرؤوس والجماجم أحياناً حتى يخرج الدماغ من الرأس والموت المحتم وأحياناً حتى تخرج الدماء الغزيرة فقط للتسلية ليس إلا التسلية وقد خرجنا يوماً للشمسية فقالوا لشاب ممتلى شباباً أخرج أنت اليوم لتسلي بك ولكن انظر إلى ذلك العصفور على الحجرة فإن أنت أتيتنا به حياً فأنت مسامح بأن لا تموت اليوم فذهب ذلك الشاب فأمسك بالعصفور بيده وكأنه جماد فأعطاهم إياه وهذه كرامة واضحة لهؤلاء الشباب تعني أن الله لطيف بهم ومما يذكر من عجب العصافير أنه قد دخل يوماً علينا في المهجع ٣٤ عصفور من العصافير فكان يأتي على رأس كل إنسان ثم على يديه وهكذا على جميع من في المهجع كل واحد لوحده حتى صار في المهجع شيء من الضجة بشأن هذا العصفور فقال رئيس المهجع أخرجوا هذا العصفور قبل أن يشعر بنا أحد فقام أحدهم إلى العصفور وأخرجه خارج المهجع من الكوة البسيطة التي في الباب إلا أنه عاد إلى المهجع ثانية ثم أخرجه فعاد ثالثة فقال له الذي أخرجه نحن نشكرك أيها العصفور و نرجوك ألا تعود ألينا لأن عودتك إلينا ستجر علينا عليك البلاء فذهب ولم يرجع وشأنه كشأن غيره من أعاجيب تدمر وما أكثرها.

١١. وأما الخروج لمهجع المرض أو لأخذ الدواء فلا أراك الله ذلك الدواء إنه لا مثيل له إلا عند هؤلاء هو مجموع الضرب المبرح والرفس على البطن أو الخصيتين وكذلك الضرب على الرأس والعينين.

١٢. وأما الخروج للتحقيق أو المحاكمة فإنها هي مهزلة المهازل حيث يتم محاكمة الإنسان على كرسي فوق بركة من الدماء تستغرق محاكمة الإنسان دقيقة ونصف إن طالت تتخللها الكرايبيج والسباب والشتائم من القاضي نفسه ومن الجلادين حوله وكثيراً ما يقوم القاضي بضرب المتهم مع الجلادين بعد الحكم عليه بالإعدام.

١٣. وأما ساعة تنفيذ الإعدام فيُخرجون الأسرى مكبلين ويربطون على أفواههم من اللاصق العريض حتى يكاد المسكين يخنق بنفسه المتبقي من بعض أنفه لأن لا يرفع صوته بكلمة لأن المعدمين السابقين كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير أحياناً ويقولهم أنا الشهيد فلان ابن فلان لذلك منوهم من الكلام بواسطة اللاصق على أفواههم ومنهم من كان يقع قبل الوصول إلى المنصة.

١٤. وأما في المسير إلى المنصة للإعدام فيتخللها ضرب بالجنائزير على الوجه والرأس حتى يتمنى المسكين الوصول للإعدام والخلاص منهم بالإضافة إلى السباب بذكر الأعراض والنساء والشتم واللعنات.

١٥. وأما برنامج النوم فهو عند الساعة التاسعة بعد العشاء مباشرة فالجميع يجب أن يكونوا نائمين مع وجود الكهرباء الضاهجة القوية ليلاً ونهاراً فكنا نتألم كثيراً من الأنوار القوية وندعوا الله أن تطفأ وإذا ما احترقت لمبة واحدة كانوا يأخذون من كل سجين قيمة لمبة ومثلها ثمن المساحات لأرض المهجع.

١٦. وأما غسل الثياب فهو بالدور إن توفر الماء وكذلك الخدمة في داخل المهجع بالدور والويل لمن سُمع منه صوتٌ أو اختلف مع غيره.

١٧. وكان بعضهم يأمرؤن الأسرى من المساجين بتقبيل أحدىتهم قائلين لهم هذه هي كعبتكم وأحياناً يأمرؤنهم بوضع أحدىتهم في أفواههم وأحياناً يأمرؤنهم بعواء الكلاب أو نهيق الحمير والويل لمن لم يفعل.

١٨. وكانوا يمنعون الزيارات منعاً باتاً والويل لمن جاءته زيارة وطبعاً ثمن الزيارة بالذهب لمدير السجن فيصل غانم ومن حوله (وزمنها خمس دقائق) ثم يكون الحساب على السجين رفس وجلد حتى ينتهي به الحال إما إلى الموت وإما إلى الجنون وإما إلى الشلل النصفى كما أعرف بعضهم وإما إلى قريب من ذلك فكنت أنا أدع الله من كل قلبي ألا يسهل الله على أهلي تلك الزيارة المشؤومة.

١٩. كانوا يسمحون بشراء الملابس والدواء وبالغالب المنتهية مدته ولكن بقيمة خمسة أضعافه.

٢٠. كانوا في أوقات لهوهم وعبتهم كانوا يُخرجون أحياناً بعض المساجين ليعمل عمل قوم لوط بزميل له.

٢١. وأما عن انتهاكهم أعراض المسلمات فحدث عنه ولا حرج فقد رأينا وسمعنا ما يندى له جبين الإنسانية خجلاً وحياءً بل إنه مما يميمت الأحرار همّاً وغمّاً وكمدماً مما لم تفعله الدول الاستعمارية سابقاً.

٢٢. كما كانوا يمنعون عن المساجين الأقلام والدفاتر والكتب والجرائد والمجلات منعاً قطعياً كما كانوا يمنعوننا من الإبرة أو الخيطان ومرةً قُبض علينا بوجود (إبرة) جُرمًا مشهودًا يستحق أقسى العقوبات.

٢٣. وكانوا أحياناً يأمرّون الأسرى من المساجين بأن يصرخوا يعيش الرئيس يعيش الرئيس وبالروح والدم نفديك إلى الأبد وكانوا يأمرّون الضباط الأسرى بكلمة (يعيش بطل التشريين) مع تكرارها.

ملحوظة حول اختلاف معاملة السجانين

طبعاً تختلف معاملة السجانين أو الزبانية قوةً وشراسة من واحدٍ لآخر أحياناً وبين مهجعٍ وآخر وبين ظرفٍ وآخر حسبها يوحى إليهم شيطانهم الأكبر ففي الظروف التي كانوا فيها في خسارةٍ وتقهر كما في أحداث حماة - يا لله للإسلام والمسلمين كم لقينا منهم فقد لقينا منهم ما تقشعر لهوله الأبدان فقد أوقعوا علينا كل حقدهم ولؤمهم بحيث أصبحنا لا نستبعد أن يفتحوا النار علينا كل لحظة لإبادتنا وكنا نعين الموت المحتم في كل لحظة وكنا لا ندري سبباً لذلك إلا بعد ستة أشهر من أحداث حماة لما أدخلوا بعضهم علينا ومما نذكره ولا ننساه أبداً دخولهم على مهجع قريب منا كل فترة عشرة أيام وأحياناً أكثر يدخل الزبانية على ذلك المهجع ليلاً ثم نسمع صراخاً واستغاثاتٍ ثم يطلقون النار برشاشاتهم على كل من في المهجع ثم ما تلبث الأصوات أن تسكت جميعاً مما يدل على أنه لم يبق أحدٌ على قيد الحياة ثم بعدها بقليل تأتي السماء بالأمطار الغزيرة والغزيرة جداً وهكذا كانت الأمطار لا تزال بعد كل عملية قتل للمساجين في مهاجعهم ولن أنس المهجع (٤-٥) وقد بقينا خمس ساعات ونحن نغسل الدم من الأرض حتى استطعنا الدخول إليه وسكنّاه.

المحاكم الصورية في سجن تدمر

وإني إن نسيت فلن أنسى أولئك الإخوة وكنا نتحدث قائلين كان الله في عون الذين يُدعون إلى المحكمة كيف يكون حالهم وإلا قد طُرِقَ الباب بعد وصولنا إلى تدمر بأسبوع يُناديهم فخرجوا في السهرة إلى المحاكمة فسألناهم لما رجعوا ما الخبر فقالوا قد حكم علينا بالإعدام جميعاً فقلنا لمْ تدافعوا عن أنفسكم فقالوا لما دخلنا تلقانا ثلاثة من الجلادين أمام القاضي عدا الرابع على الباب بالضرب المبرح مع السباب والشتم فقال القاضي: أنت محمود عطري (وكان مدرس رياضيات)

قد استقبلت عصابة الإخوان في بيتك وكنت حارسًا لهم؟ فقد حكمتُ عليك بالإعدام قم امضِ واخرج، لم يسمح لنا بكلمة واحدة وجاء التنفيذ بعد أسبوع آخر فالحرية والديمقراطية تقضي بأن الكلام محرم والله ذرُّ القائل:

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام محرم
وتعمقوا في جهلكم فالخير أن لا تفهموا
ناموا ولا تسيقظوا مما فاز إلا النوم
إلى آخر ما قال....

وما تشاهده العين على أرض الواقع مما تنفطر له الأكباد وما تطيش له العقول وما لا يفهم له وجه!

وأما مهزلة التحقيق للمحاكمات وإصدار الأحكام فحدث عنها ولا حرج مما يضحك ويبكي وقد خرج اثنان للتحقيق فكان المحققون عقيدان ونقيب وملازم أول فقال العقيد المحقق أتم مجرمون تعلمون أم لا فقالا لا نحن غير مجرمين فقال يا كلاب: الدولة دولة علم وثقافة ودولة تقدمية وحرية وديمقراطية أباحت لكم كل أنواع الكتب الثقافية وأعطتكم كامل الحرية لتعيشوا الحرية والديمقراطية بأحلى صورها وأوسعها فلماذا فضلتم أن تقرؤوا كتب السيد قطب المجرم الذي كفر الحكام بل كفر الأمة العربية كلها ومدح الكفر والكافرين ودعا إلى الإجرام والفوضى وقتل غير المسلمين فهل يجوز قتل المسيحي والدرزي والعلوي وماذا فعل هؤلاء حتى يقتلوا ولماذا يقتل شارب الخمر ألم يقل الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويقتلون الذي لا ينتمي إلى جماعتهم فقال هذان الشبان سيدي ممكن تعطينا كلمة مما قلته من كتاب سيد قطب أو الكتب التي أمامك فقال ممكن، فأخذ كتاب معالم في الطريق وأخذ يقرأ فيه ويقلب ويقلب فما وجد شيئاً، فأخذ كتاباً غيره فقلب فيه كثيراً فلم يجد شيئاً، فأخذ غير ذلك ولم يجد شيئاً مما قاله للشابين إلا أنه قال أنا هكذا قلت وهكذا قيل لي وأنا أعلم أن هذا الشيء ممنوع فقال الشبان لك يا سيدي ما دامت الدولة دولة حرية وديمقراطية ونحن ما فعلنا شيئاً إلا أنه طاب لنا أن نقرأ مثل هذه الكتب فقال العقيد الثاني لا حرية للرجعية العربية ولا ديمقراطية للإرهاب ولا للإرهابيين فالحرية والديمقراطية هي ما تقدمه لكم الدولة صاحبة الكلمة العليا ضمن منهاجها وقوانينها لا على حسب عقلية الإخوان الشياطين ولا الوهابية الذين يريدون سوق الناس بالعصا والحديد والنار إلى عقلية العصر الحجري

والتعصب والإجرام وأخيراً تكلم القاضي سليمان الخطيب وهو برتبة ملازم أول فقال للشايبين أنتما نادمان على قراءة مثل هذه الكتب فقالا لا نحن غير نادمين لأنه لا يوجد فيها شيء فقال إذا أنتم قد أقررتم بالانتماء إلى الإرهاب ومنظمة الإخوان المسلمين الإرهابية المحظورة والتي قد تم التصديق بالإعدام على كل من ثبت عليه الانتماء إليها فوما فقد حكمت عليكما المحكمة الميدانية العسكرية بالإعدام ... وتم ذلك.

ثم جيء برجلٍ قد بلغ سنَّ الكهولة فوق الأربعين فقال نفس القاضي ما قصتك أنت، قال: والله يا سيدي ليس لي أي علاقة لا في الإخوان ولا في غيرهم وأنا من عملي إلى بيتي فقال له والله أنت صادق وهذا ملفك يؤكد ذلك لكن أنت تصلي أم لا تصلي صدقاً فقال لا بالله إني أصلي فقال له كفى فعلاً إنك صادق وحكمك الإعدام لأن الصلاة والمحافظة عليها صفةٌ وشأنُ الإخوان المسلمين.

ثم نادوا على شاب في العشرين من عمره طالب جامعة رياضيات فقال القاضي أنت من الإخوان فقال لا بالله ولا أعرف عنهم شيئاً فقال القاضي لكن ملفك يقول أنت درست رياضيات على الأستاذ فلان قال نعم حضرت درس رياضيات على الأستاذ فلان درساً واحداً فقط، فقال القاضي لمن حوله أقسم بشرفي إنَّ الأستاذ فلان لو أن الهواء مرَّ من أمامه لنظّمه في الإخوان المسلمين وهذا يقول إنه حضر عنده درس رياضيات ولم ينظّمه قم حكمك الإعدام ... وتم ذلك فيه وفي إخوانه رحمهم الله جميعاً (طبعاً علمنا ذلك منهم بعد عودتهم من المحاكمة ثم بعد أسبوع تم التنفيذ بالإعدام المعروفة ساعته لدى السجناء).

وصرخ صارخ باسمي فجنّت فقال لي القاضي فتّح عينيك واجلس على الكرسي وانظر في وجهي ففتحت عيني وإذا بالكرسي على بركة من الدم فقال من نظمتك فقلت لا أحد ولا أعرف أحداً فنظر في الملف فقال لكنك تحبهم وتميل إليهم كذلك..؟ قلت: لا أبداً قال وما تعمل؟ قلت عندي دكان أبيع فيه متطلبات الأولاد من القرطاسية والأدوات المدرسية فقال قم فانصرف بشرط أن لا تحبهم ولا تميل إليهم، فانصرفت إلى جانب الخارجين من المحاكمة وكان الجميع محكومين بالإعدام إلا أقل القليل فبقيت ثلاث سنين تقريباً ذقت فيها الموت الأسود مئات المرات وشرح ذلك يطول جداً جداً.

خروجي من سجن تدمر

وأخيراً في آخر سنة ١٩٨٢ قد أطلق سراحي من تدمر بعد التوصيات والتأكيدات بعدم كلمة واحدة عن أي شيء جرى وإلا فالحكم عليك بالإعدام وكنت لا أصدق كلما تذكرت تدمر لا أصدق عيني أنني خارج تدمر حتى رجعت إليّ نفسي بعد زمن بعيد استغرق سنوات إلا أن الله سبحانه أعاد إليّ الثقة ببقاء هذا الدين وأن الله ناصره وأن ما مضى هو ابتلاء من جملة الابتلاءات التي أخبرنا الله عنها كما في أول سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت: ٢-٣]، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]، كما قال مثبتاً عباده المؤمنين بما حدث مع الأمم السابقة من أهل الإيمان وعن صبرهم واحتسابهم حتى الموت والإحراق بالنار كما جرى لأصحاب الأخدود حتى أنزل الله عز وجل فيهم سورة البروج ﴿قَاتِلِ أَصْحَابَ الْأُخْدُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٢﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٤-٨]، وكما قال: ﴿أُمِّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقوله تعالى: ﴿أُمِّ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]، وفي آخر سورة يوسف قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

عرض الدنيا مقابل الدين

ثم رويداً رويداً عادت إليّ نفسي وعاد إليّ عقلي وبدأت أشعر بشيء من إنسانيتي وبدأت أزاول نشاطي التجاري إلا أنني كنت أعيش في سجن كبير خصوصاً عندما كنت أرى دعوة الراضية الشيعية تأخذ الساحة العامة كلها بالدعوة وبالفكر والجاه والمال والقوة والدولة والسلطان حتى

جاءني مندوب عن مكتب الدعوة لأهل البيت (الشيوعي) يدعوني للعمل معهم في الدعوة إلى التشيع براتب قدره ستون ألف ليرة سورية وذلك آخر عام ١٩٨٣ ولم أزل أعيش في كابوس تدمير وأقبيّة المخابرات فلم أستجب طبعاً لكنني قلت أنا أريد كتب التشيع والمراجع الكبرى ككتاب "الكُليني" و "من لا يحضره الفقيه" وذكرت لهم باقي كتب المذهب الكبرى فما استجابوا لي لكنهم حقدوا عليّ ثم جاءني الطلب مرة ثانية في عام ٢٠٠٣ لكن براتب يقول لي حسب طلبك ضع الرقم الذي تريده ليصل إليك بالظرف المختوم فقلت كما قلت أول مرة أنا لا أريد مالا أريد المراجع الأصلية لكتب التشيع حتى أطلع وأقتنع أنكم على الحق لأعمل معكم بلا راتب ولا أجر إلا من الله تعالى فما كان منها إلا تهمة ملفقة على إثر كلمة قلتها في بيتي أمام طلابي فما كان من أحدهم إلا أن أوصلها إلى المخابرات في الوقت الذي كان اليهود قد دمّروا فيه مخيم جنين على سمع وسكوت العالم العربي والإسلامي والعالمي فقلت (إن اليهود يعيشون عصرهم الذهبي بفضل الحكومات العربية الذين أصبحوا أداة طيعة لكل ما يريده اليهود وكان حافظ الأسد قد دمّر مخيم تل الزعتر قبل اليهود وكان أقسى تعاملًا مع الفلسطينيين من اليهود وقتل منهم أكثر مما قتل اليهود) بعدها تم سجنني ثلاث سنوات تقريباً في صيدنايا ذُقت خلالها الأهوال مما زادني تأكيداً وإصراراً على أنهم على الباطل وأنهم أعداء للإسلام من خلال معاملاتهم وتصرفاتهم مما يندى له الجبين ونحسد الأسرى الفلسطينيين عند اليهود والصليبيين، ثم بعدها أخرجوني من السجن وبعد أن عادت إليّ نفسي من السجن بدأت بجلب الكتب التي تفضح التشيع وتناقضه فقرة فقرة نحو:

١. كتاب "الله ثم للتاريخ".

٢. وعامة كتب الشيخ العالم إحسان إلهي ظهير.

٣. وكتب الشيخ العلامة خالد قطان.

٤. وكتب محب الدين الخطيب.

٥. وكتب ابن تيمية.

٦. وكتب ابن قيم الجوزية.

وكتب علماء آخرون كثيرون وكان غالبُ الدارسين عليّ من الأتراك والجزائريين وكان من أنشطهم وأبرزهم الشهيد إن شاء الله الشيخ عمار السيد والشيخ خالد زهير ومحمود أمين ومحمد

عبدالرحمن طيار وأخو محمود وعبد الجواد صادق طيار وسعيد قريطو وعبدالله خروع وغيرهم كثيرون وأما ثلاثة الأثافي كما قيل:

ولو أنه سهم واحد لانتقيته ولكنه سهم وثانٍ وثالث.

محتني بمحنة ولدي أسعد

وكانت في بداية سنة ٢٠٠٣ قد اتصل بي ولدي الشيخ أسعد من الجامعة الإسلامية من المدينة المنورة بالهاتف يقول بعد السلام أرجوك أن تحتسبني عند الله فقد قررت الذهاب إلى أفغانستان للجهاد في سبيل الله فقد وجدت أن أقرب طريق إلى الجنة هو الجهاد والشهادة في سبيل الله، ثم أخيراً بعدها وبعد مدة شهر ونيف جاءني هاتف يقول إن ابنك أسعد هو عندنا في السجن عند أكراد شمال العراق نريد مبلغا قدره كذا.. فأت به وخذ ابنك (وإلا فلن تراه) فقلت لا أجد ذلك وبدأت أبحث عن دين لأفك أسر ولدي.

محتني مع التكفيرين

ولم تطل المدة حتى فوجئت بطرق المخابرات لبابنا ليلاً لاعتقالي بسبب تقارير أحد طلابي لقيامي بالدروس الدينية في بيتي ثم تم تسفيرنا إلى فرع فلسطين بدمشق ثم إلى سجن صيدنايا وقدّر الله أن أكون بصحبة التكفيرين (جماعة الدولة فيما بعد) والذين تسمع من أقوالهم إذا تكلموا كلاماً تنظيرياً يعجب المؤمنين والصدّيقين ويأخذ بالعقول والألباب كلاماً طيباً مرتباً على أتم وأفضل ما يتمنى المسلم وما يطمح بالوصول إليه من عزة الإسلام ودولة الإسلام ولكن على العكس من ذلك تماماً في سوء أخلاقهم ومعاملاتهم مع المسلمين من زملائهم المسجونين معهم ما يزيد سوءاً على خلقى السجنائين النصيرين مما دعاني أن أقول فيهم جازماً ولا زلت أقول إنهم أصحاب دعوى عريضة جداً جداً كالطبل الكبير فهم (دعاة إلى إسلام جديد بلا خلق سليم ولا سلوك مستقيم فهم علماء بلا علم ومجتهدون بلا فهم) وإليكم نموذجاً وبعضاً من اجتهاداتهم وأحكامهم وقد كنت إماماً بهم في الصلاة ونحن في سجن صيدنايا وكنت أفنت داعياً في كل صلاة عملاً بالسنة وقلت في دعائي مرة اللهم اهدِ حكام المسلمين إلى الإسلام أوزعهم أن يوفوا بعهدك فيطبقوا كتابك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فيكونون خيراً على العباد والبلاد... وما أن انتهينا من الصلاة حتى رأيت وجوه القوم متغيرةً وإذا بأحدهم يقف فيقول إن الشيخ قد كفر؟ فقالوا بصوت واحد نعم قد كفر فقلت

الله أكبر.. أنا كافر؟ وكيف كفرت؟ فقالوا أنت كافر لدعائك للطواغيت. قلت أنا دعوتُ الله لهم بالهداية ولم أدعُ الله لهم بطول العمر ولا بالنصر على المسلمين فقالوا إذا لم لم تدعُ بالهداية لإبليس فقلتُ لأن الله تعالى قد آسنا من هدايته وختم على قلبه وعقله فلا يرجي خيره ولا يؤمن شره بعد أن جاهر الله بكفره مصرًا عليه داعيًا الله عز وجل بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٨) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ [ص: ٧٩ - ٨١]، وأما عموم الكافرين فواجب علينا أن ندعوهم إلى الإسلام وأن ندعوا الله لهم بالهداية كما أنه يجوز أن ندعوا عليهم بالهلاك والدمار وقد فعلوا بالعباد ما فعلوا اقتداءً برسول الله الذي دعا عليهم أحياناً ودعا لهم أحياناً وذلك عندما طلب منه أصحابه أن يدعوا على قريش الكفرة وقد ضربوه فأدموه في غزوة أحد فقال عليه السلام وهو يمسح الدم عن وجهه: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (متفق عليه)، فقالوا: هذا حديث مكذوب، وما هي إلا بضعة أيام حتى جاءنا كتاب الصحيح فيما اتفق عليه الشيخان، فقلت هاكم الحديث الذي كذبتموه رواه البخاري ومسلم، فلما رأوه قالوا هو حديث منسوخ، قلت وما هو ناسخه؟ فقالوا خلاص هو منسوخ لأنه لم يدعُ للمشركين بعد هذه المرة فقلت هذا ادعاء ودعوى لا دليل عليها فلا بد للنسخ من دليل صحيح فأين الدليل ولم يقل بنسخه عالم ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. فكان الدليل والبرهان على نسخ الحديث هو الإيذاء والتكفير بل تسلطوا عليّ جميعاً حتى أصبحت كأني في سجون مظلمة داخل السجن من إيذائهم مما جعلني أطلب نقلي إلى سجن المجرمين الجرائم العظمى فانتقلت إليهم فكانت حياتي معهم برداً وسلاماً ومما زاد في محنتي معهم وكفري في اعتقادهم وقد سألوني عن صحة الصلاة في جوامع البلاد ومساجدها فقلت بلا تردد إن صلاة الجماعة والجمعة واجبة على المسلمين في هذه الجوامع فقالوا هذا رأيك وليس حكماً شرعياً فقالوا وأما الحكم الشرعي (في نظرهم طبعاً) أنَّ الصلاة مطلقاً باطلَّة في كل هذه المساجد التي هي ليست إلا مساجد الضرار لأنها بنيت بأوامر طاغوتية هذا أولاً وثانياً لأن العلماء والشيخوخ في هذه المساجد تابعون لدائرة الأوقاف والتي هي تابعةٌ للمؤسسات الطاغوتية وثالثاً فلا تصح الصلاة خلف هؤلاء الأئمة والشيخوخ لأنهم جميعاً كفرة مرتدون لأنهم تابعون لمؤسسة طاغوتية رابعاً يجب هدم هذه المساجد كلها فوق رؤوس من فيها من الشيخوخ والمصلين لكونهم جميعاً مستحقين لهدم مساجد الضرار فوق رؤوس القائمين عليها لكونهم منافقين كفرة فقلت إذا أنتم تكفرون كل من لم يكن معكم على آرائكم الظالمة (وهو مبدأ حافظ

الوحش وساداته الذي يقول كل من لم يكن معنا فهو علينا) وأيُّ من أهل المذاهب أو أئمة السلف هكذا كان يطلق أحكامه فقالوا نحن لا نعترف بكل هذه المذاهب ونعتبرها ضلالاً مبيئاً (الآن) حيث ذهب وقتها والظروف التي كانت ملائمة لها ثم قالوا وماذا تقول أنت في العلماء والشيوخ الذين هم أئمة وخطباء في هذه المساجد أليسوا كفر؟ فقلت إن من كان مع السلطان الطاغوت موافقاً له باختياره فلا شك في كفره وأما من كان خائفاً أو مصانعاً تقيّةً وهو منكر بقلبه فلا شك في إيمانه والله جلّ جلاله قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. فقالوا: قد أقررت على نفسك بالكفر للقاعدة (بأن لم يكفر الكافر فهو كافر) وأنت لم تكفر الأئمة والشيوخ القائمين على تلك المساجد، وبعضهم قال أنا لا أكفرك ولكن أقول أنت فاسق فقلت وماذا أتم قائلون إذا كان شيخ من شيوخ المجاهدين الموثوق بهم قد أفتى بخلاف ما تقولون فقالوا هاته فقلت إليكم ما قال أبو محمد المقدسي في كتابه الرسالة الثلاثينية ناقضاً أكثر ما أنت عليه من أحكام وأفكار فقال:

ومن الأخطاء الشائعة في التكفير إطلاق قاعدة (من لم يكفر الكافر فهو كافر) دون تفصيل وسوء استعمال هذه القاعدة عمّ بلاؤها وطمّ بين كثير من الشباب، حتى جعلها بعض غلاة المكفرة أصل الدين وشرط صحة الإسلام، يدور معها الإسلام عندهم وجوداً وعدمًا، وعقدوا عليها الولاء والبراء؛ فمن أطلقها وأعملها فهو المسلم الموحد الذي يتولّونه، ومن خالفهم في بعض جزئياتها عادوه وبرئوا منه وكفّروه؛ حتى بلغ بهم الأمر أن كفر بعضهم بعضاً لأنه لا يخلو أن يخالف بعضهم في تكفير بعض الناس، فيكفر بعضهم بعضاً بسبب هذا الخلاف. ونحن نسأل هؤلاء هنا سؤالاً مفاده: إذا كان إطلاق هذه القاعدة على طريقتكم دون تفصيل شرطاً لصحة الإسلام؛ أفيولد الإنسان يعرفه أم يجب عليه تعلمه؟ فإن قالوا: يولد يعرفه فقد عارضوا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]. وإن قالوا: يجب تعلمه قلنا: متى يجب عليه ذلك؛ أقبل البلوغ أم بعده؟ ولا بد من أحد الجوابين فإن قالوا: قبله خالفوا صريح حديث النبي ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث...» منهم «الصغير حتى يحتلم». وإن قالوا: بعد البلوغ. قلنا لهم: ضعوا لنا حداً؛ أيجب عليه مباشرة بعد البلوغ، أم على التراخي فإن قالوا: على التراخي. تناقضوا وأجازوا بقاء الغلام بعد احتلامه على الكفر مدة لا يعرفون حدها، فلو مات، مات على الكفر

عندهم. فإن قالوا: مباشرة. قلنا: فإنها من المسائل التي تحتاج إلى نظر وبحث وتعلم ودراسة خصوصا في ظل شبهات وتلبيسات مشايخ السوء، وهذا بحد ذاته يحتاج برهة من الوقت ولو سويغات؛ هذا على أقل تقدير إذ أنتم لم تنتحلوه إلا بعد مدة من الدهر وطويل من البحث، ولا يجادل في هذا إلا جاهل معاند، فيلزمهم التسليم به. وإذا جوّزتم الكفر ولو للحظات لأجل تعلم ذلك، ولا بد لكم من هذا بعد أن جعلتموه شرطاً للإسلام؛ فقد جوّزتم الكفر بالله تعالى؛ وقرّرتم أنه لا يصح إسلام أحد بعد بلوغه حتى يكفر بالله، وصرتم كفاراً بذلك، وإلا فخلوا عنكم المغالاة بهذه القاعدة، وتعالوا إلى تفصيل أهل العلم فيها. أما نحن فنقول: إننا والله الحمد لا نحتكم في ديننا إلا إلى الشرع، والتكفير كما تقدم حكم شرعي لا يصح إلا بالأدلة الشرعية القطعية الدلالة. وكما يقول أبو محمد ابن حزم؛ إن من ظن أنه قد وقع من الدين على ما لم يقع عليه رسول الله ﷺ فهو كاذب بل كافر بلا خلاف. ومن المحال الممتنع عند أهل الإسلام أن يكون قد غفل الرسول ﷺ عن أن يبين للناس شيئاً من أصل دينهم أو مما لا يصح لأحد الإسلام إلا به، ثم يتفق على إغفال ذلك أو يتعمد عدم ذكره جميع أصحابه من بعده؛ حتى يتنبه إليه ويدلنا عليه هؤلاء الأشقياء!!! ولذلك فإننا نقول أن كل شرط ليس في كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ فهو باطل، وكل قاعدة أو أصل أو قول لم يستند إلى دليل من الشرع فهو رد على صاحبه ولذلك لزم النظر في أصل هذه القاعدة، وعلى أي دليل من الشرع تستند حتى نضبها ونعرف حدودها.. وقد كنت جمعت قديماً في هذه القاعدة (كلاماً طيباً للسلف الصالح)، لما عم بلاؤها بين بعض الشباب المتهورين الضعفاء في العلم الشرعي، وتبعتها في عبارات العلماء، لأعرف من أقدم من استعملها؟ وكيف تعامل أهل العلم معها وعلى أي شيء ينزلونها؟ فخرجت بهذه النتائج:

أولاً: وجدت استعمالها كان قديماً، وليس كما زعم البعض أنها من كيس شيخ الإسلام ابن تيمية، تابعه عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب!! نعم اشتهر عن شيخ الإسلام استعمالها وإليه وإلى الشيخ محمد بن الوهاب يعزوها أكثر من يستعملها لكن قد سبقها فيها أئمة مشهورون غيرهم؛ بعضهم من القرون الأولى.

ثانيا: قد ظهر لي بعد التتبع والاستقراء لأقوال أهل العلم أنهم إنما يذكرونها ويستعملونها لتأكيد مناقضة أنواع من الكفر للدين تطاير شرر فنتتها في أزمتههم، للعمل على استئصالها بترهيب الناس منها وتغييرهم عنها وعن أهلها، فيكون ذلك من جنس نصوص الوعيد التي يجوز إطلاقها؛ مع وجوب مراعاة النظر في الشروط والموانع عند تنزيلها على الأعيان؛ كما في فتنه خلق القرآن والأمثلة السابقة من جنس هذا أو للتغليظ والتحذير من بعض أنواع الكفر الظاهرة التي يكون الامتناع من تكفير أصحابها فيه نوع تكذيب أو عناد صريح للشرع، مثله مثل التوقف والامتناع من تكفير اليهود والنصارى الذين كفرهم الله تعالى بالنصوص المتواترة والمعروفة في دين المسلمين ضرورة، ومن هذا ما سيأتي التمثيل به من كلام شيخ الإسلام في الاتحادية.

ثالثا: ومن ثم فإن أصل هذه القاعدة ودليلها الذي تركز وتقوم عليه، هو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، ونحوها من الأدلة الشرعية الدالة على كفر من كذب بشيء ثابت من أخبار الشرع وأحكامه، ولذلك فإن القاضي عياض بعد أن نقل في الشفا (٢/ ٢٨٠ - ٢٨١)، عن الجاحظ وثامة زعمهم؛ أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة اليهود والنصارى وغيرهم؛ لا حجة الله عليهم، إذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال، قال: (وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة، وقائل هذا كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك، قال القاضي أبو بكر: لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن توقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف والتكذيب أو الشك فيه، لا يقع إلا من كافر) أهـ. ومثل ذلك قوله (٢/ ٢٨٦): (ولهذا نُكْفَرُ من لا يُكْفَرُ من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم، وإن أظهر بعد ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه، فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك) أهـ. وإشارته بقوله: (ولهذا) كانت إلى قوله قبل ذلك (وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب) أهـ.

- ولما كان (التكذيب والجدح لا يكون إلا بعد المعرفة أو الاعتراف) دل على ذلك أدلة تكفير المكذبين نفسها كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٧]، فإن الجحد إنما يذكر بعد مجيء الآيات وبلوغها، وكذا قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ

عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٧]، وانظر في مثل هذا بدائع الفوائد لابن القيم (٤ / ١١٨). فعلم بذلك أن حقيقة هذه القاعدة وتفسيرها على النحو التالي: (من لم يكفر كافراً بلغه نص الله تعالى القطعي الدلالة على تكفيره في الكتاب، أو ثبت لديه نص الرسول ﷺ على تكفيره بخبر قطعي الدلالة؛ رغم توفر شروط التكفير وانتفاء موانعه عنده؛ فقد كذب بنص الكتاب أو السنة الثابتة ومن كذب بذلك فقد كفر بالإجماع). هذه هي حقيقة هذه القاعدة وهذا هو تفسيرها، بعد النظر في أدلتها واستقراء استعمال العلماء لها .. وما لم يصرح ويعترف المرء بمعرفته للنص المكفر ورده له، فلا يصح إلزامه بذلك، ومن ثم تكفيره وفقاً لهذه القاعدة؛ فإن المسألة ساعته تتحول إلى التكفير بالإلزام أو بالمآل وسيأتي في خطأ التكفير بالمآل أن لازم المذهب ليس بمذهب، إلا أن يكون صاحب المذهب عارفاً عالمياً بلزومه لمذهبه فيصريح بالتزامه، وما دام جاهلاً بذلك اللازم أو غافلاً عنه لا يشعر به ولا يقصده، فلا يلزمه، ولا يجوز إلزامه به بلا برهان - اللهم إلا أن يكون ذلك في الكفر الواضح الصريح الذي ثبت بالنص القاطع الصحيح، وعلم ضرورة من دين المسلمين ككفر اليهود والنصارى والمجوس والملاحدة ونحوهم أو ممن هم على ملة غير ملة الإسلام أو من هم شر من ذلك وهو يعرف حالهم .. بحيث يكون الممتنع عن تكفيرهم غالباً إما مكذب أو شاك بالنص الذي كفرهم الشرع به غير منقاد ولا مستسلم له، لأن مثل ذلك النص لا يخفى حتى على اليهود والنصارى أنفسهم؛ فضلاً عن أن يخفى على أهل الإسلام ومن كان كذلك فقد كفر بالإجماع - أما من كان كفرهم كفر تأويل، فامتنع من تكفيرهم لإشكال بعض أدلة الشرع عنده، أو كان ذلك من الأبواب التي يعذر الجاهل فيها، لأنها لا تعرف إلا من طريق الحجة الرسالية، أو أنه رد نصاً من نصوص الشرع لعدم علمه به، أو عدم ثبوته عنده، ونحوهم ممن لا يكفرون إلا بعد إقامة الحجة عليهم والتعريف والبيان؛ فلا يجوز إطلاق هذه القاعدة فيمن أشكل عليه تكفيرهم، أو توقف فيه أو امتنع عنه ما داموا ممن عندهم أصل التوحيد ..

* ولذلك كان من فقه الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ) في هذا الباب أنه قال في الجهمية (ما رأيت قوماً أضل في كفرهم منهم، وإني لأستجهل من لا يكفرهم، إلا من لا يعرف كفرهم) أهـ. من فتاوى شيخ الإسلام (١٢ / ٢٧٢).

* ويعزى قريب منه للإمام البخاري (٢٥٦هـ) قال في (خلق أفعال العباد) ص ١٩ رقم ٣٥:

(نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس، فما رأيت أضل من كفرهم منهم {يعني الجهمية} وإني

لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم). تأمل: ولم يقل: وإني (لأكفر من لا يكفرهم)، ومع هذا استثنى من التجهيل؛ من لم يكفرهم لعدم معرفته لكفرهم.

* أما الإمام أحمد فقد ورد عنه أيضا إطلاق الوعيد بهذه القاعدة في رسالته التي كتبها جوابا على رسالة مسدد بن مسرهد البصري التي سأله فيها عن الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء؛ فجاء في جوابه عن القرآن قوله: (فهو كلام الله غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، ومن لم يكفره فهو كافر) أهد من طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١ / ٣١٥). وذكر عنه شيخ الإسلام في الفتاوى حول ذلك روايتان في سياق ذكر مذهبه في تكفير أهل الأهواء من القدرية والجهمية ونحوهم، صحح فيه أنه لم يكن يكفر بمثل هذه القاعدة، فقال: (وعنه في تكفير من لا يكفر، روايتان أصحهما لا يكفر). أهد. (١٢ / ٢٦٠) (ط. دار ابن حزم) ولعله يريد بذلك عدم تكفير أعيان من لم يكفروا والجهمية وأمثالهم لا مطلق الوعيد بالقاعدة فقد عرفت إطلاق أحمد واستعماله لها كما هو أعلاه. ثم قال شيخ الإسلام: (وربما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لم يكفر مطلقا وهو خطأ محض) أهد.

هذا ولا يفوتني أن أنبه أيضا هنا، (لا زال الكلام لأبي محمد المقدسي) إلى ما أنكره دوما على بعض المتحمسين الذين يتندرون ببعض لوازم الكفر الأصلي فيخلطونها في كفر الردة، ويتفاكهون بذكر سبي نساء الطواغيت أو نساء عساكرهم ونحوه وأن ذلك دليل على جهل مفرط بأحكام الشرع، وتهور واستخفاف باقتحام المحرمات إذ قد عرفت مما مضى أن احتمال كون أولئك النساء من المسلمات الصالحات المستضعفات وارد جدا ثم هب أن التكفير قد ثبت عند هؤلاء المتهورين ثبوتاً شرعياً!! فإن كفرهن والحال كذلك كفر ردة لادعائهن الإسلام. وإذا كان الأمر كذلك، أفلم يعلموا أن الصحيح من أقوال العلماء هو عدم جواز سبي المرتدة؛ لأن في سبها إقرارها على الردة، والمرتد لا يقر بين المسلمين بحال، لحديث: «من بدل دينه فاقتلوه»، (رواه الجماعة إلا مسلما)، وجاء في بعض روايات حديث معاذ وحسن إسنادها الحافظ ابن حجر في الفتح أن النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن قال له: «أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها» صحيح. وانتبه إلى قوله فادعه إلى الإسلام أولا؟.

والخلاصة: فإن التسري الذي يحلم به أولئك الكسالى البطالون؛ إنما يجوز بعد حصول ملك اليمن واستبراء الرحم، فقد (حصر الشارع جواز التسري في الملك الصحيح) وما لم تملك الرقبة

ملكا صحيحا؛ فلا يحل التسري بحال، وأنه لا سبيل اليوم إلى امتلاك الرقاب إلا في شوكة وتمكين ودولة على منهاج النبوة لا تبالي بكفار الدنيا وعداوتهم خصوصاً في ظل توقيع دول العالم اليوم (مع المسلمين)، على اتفاقية تحريم الرق، في الوقت الذي تواطؤوا فيه على استرقاق الشعوب المستضعفة وإذلالها ونهب خيراتها...!!

علما أننا لا نتعرض لموضوع السبي في مثل هذه الأحوال، ولم نتعرض له قبل اليوم، وما ينسبه البعض إلى دعوتنا من هذا الباب فهو محض كذب وافتراء، يدل على اندحارهم أمامها وعجزهم عن ردها بالحجج والبراهين، وإفلاسهم عن مقارعتها بالأدلة والبيانات. فحادوا إلى الكذب والافتراء لتشويهها ورد الناس عنها، لعلهم أن يظفروا من طريق الكذب والبهتان بما عجزوا عنه من طريق الحجة والبرهان. فنساء من نكفرهم من الطواغيت وأنصارهم عندنا ما بين حالين، كلاهما لا يحل فيها السبي: إما أن يكن مرتدات كأزواجهن، والمرتدة لا يحل سبيها؛ لأن في ذلك إقراراً لها على ردتها.

- أو يكن مسلمات جاهلات هن علينا واجب النصح والبيان، أو مسلمات صالحات مستضعفات هن علينا واجب النصرة والموااة. وإذا كان هذا هو قولنا في نساء وأزواج وبنات الطواغيت وأنصارهم؛ فمن باب أولى عموم النساء في هذه المجتمعات التي كانت من عهد ليس ببعيد ديار إسلام، ولا يزال جمهور أهلها ينتسب إلى الإسلام. فانتبه إلى أهمية ذلك فهل حان لأولئك المفترين أن ينزعوا عن كذبهم علينا وبهتانهم لنا ويتوبوا؟ واضعين نصب أعينهم قول المصطفى ﷺ: (من قال في مسلم ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يأتي بالمرحوم مما قال) ورددغة الخبال: عصارة قيح وصيد أهل النار. وهل آن الأوان لأولئك المتخبطين في هذه الأبواب أن يرعوا؟ فقد صار تخبطهم وجهلهم ذرائع ومطاعن تشبث وطننن بها أعداء الله، ليشوهوا وجه هذه الدعوة المباركة.

وقال: (ومن الأخطاء الشنيعة في التكفير أيضاً تكفير كل من عمل في وظائف الحكومات الكافرة

دون تفصيل، ولقد انتشر هذا عند كثير من الغلاة المتحمسين الذين يستقون أحكامهم من بعض الإطلاقات الأدبية التي يقرؤونها في بعض كتب العصر الفكرية، كلفظة (المجتمعات الجاهلية) التي استدل!! بعضهم بها لتكفير عموم الناس في هذه المجتمعات وكمقولة (العمل تحت غطاء الأنظمة الجاهلية) أو (العمل ضمن ما يعزّز الجاهلية) ونحو ذلك مما جعل بعضهم يقول بأن موظفي الدولة

الكافرة جميعهم كفار، ابتداء من عامل البلدية (الزبال) إلى رأس الدولة (الطاغوت) فهذا إطلاق باطل، نبراً إلى الله منه، ولا نقرّه بحال بل نحن وإن كنا - بحمد الله تعالى - لم نتقلد وظيفة حكومية في يوم من الأيام ونحب لإخواننا الموحدين دوماً التباعد عن هذه الحكومات ووظائفها قدر الإمكان، مبالغة في اجتناب الطاغوت وكل ما يمت إليه بصلة وسدا لكل الذرائع التي قد تقرب منه ومن حُكمه وشركه وقطعاً لكل الطرق والحبال التي تتصل به، إلا أننا لا نلزم الناس بذلك، أو نجعله من أصل الإيمان وشروطه بل نفصل في وظائف الحكومات الكافرة من حيث الحكم الشرعي، فلا نقول أنها كلها كفر، ولا أنها كلها حرام . بل ما كان فيه سبب من أسباب الكفر، من الأقوال أو الأعمال الظاهرة، فهو وظيفة مكفرة كالمشاركة في تشريع قوانينهم الكفرية، أو أن يكون في الوظيفة قَسَمٌ على احترام قوانينهم والولاء لطواغيتهم، أو نصرة القوانين، أو مظاهرة لعبيدها على المسلمين إلى غير ذلك مما هو كفر ظاهر . وأما ما كان فيها معصية أو تعاون على الإثم والعدوان، فهي وظيفة محرمة يأثم صاحبها ولكن لا يحل التكفير بها وحدها، مادام ليس فيها سبب مكفر وما لم تكن الوظيفة من النوع المكفر أو المحرم ... فلا نقول فيها إلا بالكراهة... وإنما قلنا بالكراهة خوفاً من أن تصير ذريعة إلى تسلط أعداء الله على المسلم وتحكمهم بحقوقه أو محاولة إذلاله فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الإجارة (باب هل يؤاجر الرجل نفسه من مشرك في أرض الحرب) عن خباب رضي الله عنه قال: كنت رجلاً قيناً، فعملت للعاص بن وائل، فاجتمع لي عنده مالٌ كثير، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا والله، لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تُبعث فلا. قال: وإني لميت ثم بمعوث؟! قلت: نعم، قال: فإنه سيكون لي ثم مال وولد فأفضيك، فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿أَفْرَعَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] وهذا كان في مكة وهي آنذاك دار حرب، واطلع النبي ﷺ على شأنه قال ابن حجر في الفتح: (ولم يجزم المصنف بالحكم، لاحتمال أن يكون مقيداً بالضرورة، أو أن جواز ذلك كان قبل الإذن في قتال المشركين ومناذبتهم، وقبل الأمر بعدم إذلال المؤمن نفسه) ثم نقل عن المهلب قوله: (كره أهل العلم ذلك - أي العمل عند المشركين - إلا لضرورة بشرطين:

أحدهما: أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله.

والآخر: أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين) أهـ. ويجب التنبيه إلى أن كلامهم هذا، في مثل حال خباب الذي كان قيناً، أي: حداً، وقد أجر نفسه في عمل معين للعاص، أي أنه لم يكن مرتبطاً معه بعقدٍ شبه دائم منذ تسلمه العمل وحتى التقاعد كما هو حال الوظائف التي يرتبط بها الناس في هذا الزمان، حيث يكون مجال تسلط أرباب العمل وتحكمهم وإذلالهم للموظف أكد... فلا شك أن كراهيتهم لذلك ستكون أشد وأولى من كراهتهم للمؤاجرة المؤقتة عند الكفار. هذا مع التنبيه إلى احتمال إرادتهم بالكراهة هنا التحريم كما كان في اصطلاح الأوائل ولكن هذا - كما قلنا - شيء غير التكفير، إذ التكفير كما قد ذكرنا لك مراراً حكم شرعي لا يصح إلا بأسباب ظاهرة منضبطة، من قول أو عمل مكفر صريح الدلالة. ولا تكفي في ذلك الإطلاقات الفكرية والحماسية غير المؤصلة، ولا المنضبطة بضوابط الشرع وما يورده بعض الغلاة المتهورين في هذا الباب من أن الموظف في الحكومات الكافرة يكفر، من باب طاعة الكفار .. ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥- ٢٦]، فإنه من جهلهم لمعنى الطاعة المكفرة المقصودة ها هنا.. فإنها طاعة مخصوصة في التشريع أو الكفر والشرك والردة لا مطلق الطاعة.. بدليل أن الكافر أو الطاغوت لو أمر بطاعة أو معروف لما أثم من أطاعه في ذلك، فضلاً على أن يكفر. وهذا أمر واضح من السفه إطالة الوقوف عنده والجدال فيه، ومع هذا فلا مانع عندي من أن أذكر بعض الجهال الذين يطالبون بالأدلة عليه؛ بقول النبي ﷺ في شأن حلف الفضول وهو مؤسسة من مؤسسات الكفار: «لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت». وسيأتي وبقوله ﷺ في قصة الحديبية عن كفار قريش: «لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها» وبما أجابهم إليه من شروط معلومة معروفة. انظرها في البخاري (كتاب الشروط) باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. ولذا قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ مخاطباً بعض المتسرعين في زمانه (وقد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد: ٢٦] على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين، والملوك المشركين، ولم تنظروا لأول الآية وهو قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [محمد: ٢٥] وتفقهوا المراد من هذه الطاعة، ولا المراد من الأمر

المعرف المذكور في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة، وفي قصة صلح الحديبية وما طلبه المشركون واشترطوه وأجابهم إليه رسول الله ﷺ ما يكفي في رد مفهومكم ودحض أباطيلكم أهد. من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية وقد تقدم هذا ولنا في العمل عند الحكومات الكافرة فتوى طبعت بعنوان: (المصابيح المنيرة في الرد على أسئلة أهل الجزيرة).

فقال (التكفيريون) له رأيه ولنا رأينا واجتهادنا حسبنا نراه من الأدلة عندنا فقلت والله يتوجب على أعداء الإسلام جميعاً أن يقدموا لكم جزيل شكرهم وقد تشاوروا في قتلي فلم يمكنهم ذلك وأخيراً:

تحقيق جرمي وتهمتي وخروجي من سجن صيدنايا

وفي نهاية الثلاث سنوات تقريبا في سجن صيدنايا استدعيت لسؤال المخابرات عن ولدي الشيخ أسعد فقلت لا أعلم عنه شيئا ولا أعلم ذنبي في هذا السجن فقال أحدهم للرئيس المحقق إن لهذا المتهم ثمانية أولاد وكلهم أصحاب لحي مثله ولا يتحدثون إلا بالإسلام والجهاد في سبيل الله في كل مكان وهو يزعم أنه بريء لا ذنب له وقد انتهى فصل من فصول المهزلة وخرجت من السجن ولكن آلام السجن مع التكفيريين لم تنته آلامها بعد لكونهم مسلمين بالأصل أقرب إلينا من جميع الكفرة كما قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

إخراج ولدنا أسعد من السجن واستشهاده في العراق

وبعد خروجي من السجن أخبرني أهلي أن أم الأولاد قد ذهبت الى العراق مطلع سنة ٢٠٠٤ وأخرجت ولدنا أسعد من سجن شمال العراق من عند الطالباني بواسطة الدكتور محسن عبد الحميد صديق الطالباني وهناك أفاد ولدنا أنه تعرض لأسئلة المخابرات العالمية ومنها على الخصوص المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والسورية وكانوا جميعا يركزون على الفكر الجهادي الإسلامي بخصوصه ثم وبعد خروج ولدنا من سجنه حاولت امه أن تأتي به لتزوجه ويستقر وضعه عندها فقال لها أنت تريدين أن تزوجيني من الحور الطين وأنا أريد الزواج من الحور العين ومهما كانت الفرحة عظيمة في الاستقرار الدنيوي المؤقت فان الفرحة العظمى بنيل الشهادة والاستقرار في الجنة

يا أمي، ثم تابع الجهاد في العراق مع المجاهدين المسلمين ضد الأمريكان وتم استشهاده في ٦/٦/٢٠٠٤ على أيدي الأمريكان ودفن في الملعب البلدي في الفلوجة وهذا هو شهيدنا الأول.

هجرتنا أو نزوحنا واستشهاد اثنين من أبنائنا

وأما قصة هجرتنا أو نزوحنا ومغادرتنا لبلدنا حلب فقد جاءنا الخبر هاتفياً بالإسراع في الخروج من البيت فإن حملة المخابرات مقبلة للقبض عليكم فخرجنا بسرعة مع العيال والأطفال بثيابنا فقط وما بعدنا عن الدار إلا قليلاً حتى حضرت سيارات المخابرات فذهبنا الى تركيا مباشرة تاركين الدار وما فيها من الأمتعة والأدوات التي كانت ثمرة جهد حياتنا الماضية كلها مع مكتبة عامرة بأهم المراجع العلمية الهامة الغالية على قلبي جدا جدا (وفيها كتب قيمة) هذا وقد استقر بنا المقام في مخيم أورفا بضعة شهور حتى جاءنا الخبر بإصابة ولدنا أبي جعفر وأنه يعالج في مستشفى كليس فغادرتنا المخيم إلى كليس ثم إلى سوريا وقد تحررت بعض المناطق فلجأنا إلى تل رفعت لمتابعة أعمالنا الجهادية مع أولادنا.

ثم صار عمل ولدي (أبي دجانة) مع المجاهدين في جنوب مطار حلب وقد سقط هناك قتيلاً على أيدي الرافضة مع جيش النظام الكافر وبقيت جثته هناك حتى الآن وهو شهيدنا الثاني بإذن الله وقد خلف زوجة وثمانية أولاد.

هذا وبعد متابعة جهدي وجهادي في المكتب الشرعي لمتابعة الأسئلة والفتاوى الشرعية فقد وصلني حديثاً خبر استشهاد ولدي الكبير (أبو الحارث) وقد خلف زوجة حاملاً وثلاثة أولاد وهو شهيدنا الثالث بإذن الله.

هذا بعد خروجنا من بيت نزوحنا في تل رفعت وترك كل ما جمعناه من أمتعة وأدوات معيشية سائلين المولى تعالى أن يجعل لنا أسوة صادقة مقبولة بهجرة سيدنا رسول الله وأصحابه وهجرات الأنبياء والرسل من قبلهم وقد أصبحنا والعائلة موزعين كل فرد من عائلتنا الواحدة في بلد سائرين على ما تقتضيه مصلحة الجهاد وفصائل المجاهدين التي يتتبعونها إليها وفي النهاية ولا نهاية إلا في المستقر والمثوى الأخير في الجنة إن شاء الله أو النار نسأل الله العافية فقد أخبرنا الله تعالى عن قوة الفراعنة وما كانوا عليه من التكبر والتجبر ما قاله الله عز وجل عنهم: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠] - وهي الجيوش الجرارة وفروع المخابرات والرجال الأشداء-الذين طغوا في البلاد-

فتجاوزوا حدود كل معقول ومنقول - ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: ١٢]- فلم يتركوا مخلوقاً بخير فأذلوا العباد وأفسدوا البلاد فدمروها دينياً وأخلاقياً واقتصادياً- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣-١٤]. كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].